الصوفية

البدعة ..

.. رؤية تحليلية

إضاءة لتزكية النفس وتصحيح المسار

هل نترك الصوفية لمخططات الأعداء؟؟

أسرة المجلة تحاور الشيخ

أحمد فريد

كنت قبورياً

الصوفية في عقل

الصوفية

مجلة تصدر كل شهرين
عن موقع الصوفية

العدد الثالث
جمادى الأولى ١٤٢٨هـ - يونيو ٢٠٠٧م

الهيئة الاستشارية للمجلة
د. عبد العزيز آل عبد اللطيف
الشيخ عبد المجيد الريمي

هيئة تحرير المجلة
حسن بن علي البار
عبد الرحمن بن محمد الهرفي
محمد بن عبد الله المقدي

- ترحب المجلة بإسهامات الكتاب في شتى موضوعات التصوف.
- ترحب المجلة بتعقيبات القراء ومراجعاتهم حول ما ينشر في المجلة.
- الموضوعات المطروحة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

بريد التحرير
a@alsoufia.com

الصف والتنسيق
(www.alsedeeq.info)

تصميم وإخراج
أبو حماس عبد الحكيم قاسم
abdulhakem@maktoob.com

في هذا العدد

الإفتتاحية.. خطوات الإختراق هل تتعثر؟		٣
قالوا في التصوف.. الإمام الذهبي		٤
عبادات تحت الضوء.. صلاة الفاتح لما أغلق		٥
تحقيقات.. الصوفية في عقل راند		٨
الطرق الصوفية.. الطريقة الكسنزانية		١٠
هؤلاء تركوا التصوف.. عبد المنعم الجداوي		١٣
أسرة مجلة الصوفية تحاور الشيخ أحمد فريد		٢٠
من مشكاة النصح.. التربية عند الصوفية		٢٢
أبحاث ومقالات.. البدعة رؤية تحليلية		٢٥
منارات.. هل نترك الصوفية لمخططات الأعداء		٢٧
متابعات	الحج إلى طابا	٢٨
متابعات	زعيم الصوفية يعترف: السفير الأمريكي زارني مرتين	٣٠
متابعات	البودشيشية المغربية في مواجهة الإسلام السياسي	٣١
متابعات	مهرجان فاس والتواصل الصوفي مع الغرب	٣١
متابعات	النقشبنديون ينتشرون على ضفاف نهر الراين	٣١

(نحن نحترم الشيعة كإخوان في الإسلام ولا فرق بيننا وبينهم، بل هم يزيدون علينا في حب التعلق بأهل البيت، ويحرصون على زيارة مقابر أولياء الله الصالحين والتعلق بها مثلنا، وذلك لا ضرر فيه)[1]

بهذه التسطيح يحدثنا شيخ مشايخ الطرق الصوفية عن الشيعة الرافضة، ويحق لنا أن نتساءل هاهنا، ألا يعلم شيخ المشايخ ببغض الرافضة لكل ما هو سني من دون تمييز؟، ألا يبصر شيخ المشايخ القنوات الفضائية وقد بح حلقها وهي تحكي مأساة أهل السنة في العراق؟ ألا يبصر الفرق الظاهر بين معتقدات أهل السنة ومعتقدات الرافضة؟!، ألا يعلم شيخ المشايخ ببغض وتكفير الشيعة الرافضة لأمهات المؤمنين وصحابة رسول عليه الصلاة والسلام؟!

ألم يقرأ شيخ المشايخ ما خطه الحر العاملي - الذي يعد مرجعا معتمدا لدى الشيعة الرافضة وكتابه الوسائل من الكتب الثمانية المعتمدة لديهم- ، في كتابه (الاثنا عشرية في الرد على الصوفية) ما نصه (إجماع جميع الشيعة الإمامية واتفاق الفرقة الاثني عشرية على ترك هذه النسبة ومباينة أهلها في زمن الأئمة – عليهم السلام – وبعده إلى قريب من هذا الزمان لم يكن أحد من الشيعة صوفياً أصلا كما يظهر لمن تتبع كتب الحديث والرجال وسمع الأخبار، بل لا يوجد للتصوف وأهله في كتب الشيعة وكلام الأئمة – عليهم السلام – ذكر إلا بالذم، وقد صنفوا في الرد عليهم كتبا متعددة ذكروا بعضها في فهرست كتب الشيعة.))[2] اهـ

ويقول أيضا: ((قال بعض المحققين من مشائخنا المعاصرين: اعلم أن هذا الاسم – وهو اسم التصوف – كان مستعملا في فرقة من الحكماء الزايغين- هكذا- عن الصواب، ثم بعدهم في جماعة من الزنادقة وأهل الخلاف من أعداء آل محمد – عليه السلام – كالحسن البصري وسفيان الثوري ونحوهما، ثم جاء فيمن جاء بعدهم وسلك سبيلهم كالغزالي رأس الناصبين لأهل البيت..)) اهـ. فهل من يقول هذا لا فرق بينك وبينه ويفضلك في محبة آل البيت؟!

إن أخشى ما نخشاه أن تكون هذه التزكية نفخة في كير الفتنة بين الرافضة وغلاة الصوفية لصد عامة الصوفية عن نهج أهل السنة جملة؟

يُحكى أن خُلْداً ذهب إلى أمه وقال لها انه يستطيع أن يرى الآن - الخلد لا يبصر- قررت الأم اختبار ابنها فوضعت أمامه قطعة من البخور نافذ الرائحة وسألته عما يرى تحت انفه أجاب الخلد :حجر وهنا ردت عليه أنت لست أعمى فحسب بل فاقد حاسة الشم أيضا !

إن النظرة السطحية لهذا الخطر العقائدي تشي بهزال في العلم الشرعي، وضعف في البصيرة، وعدم فهم للواقع السياسي، وعدم وعي بالتأريخ وعبره.

وهذه العبارات من غلاة الصوفية تحلو لأصحاب الفكر الرافضي يقول محمد الدريني [3]: (حول عدد الشيعة في مصر، إنه حسب تقرير الحالة الدينية للخارجية الأميركية قدر عدد الشيعة في مصر بـ٧٥٠ ألف شخص، ولكن أنا أعتقد أن عدد الشيعة يفوق هذا العدد بكثير لأننا لا بد أن نضع في اعتبارنا أن هناك ما يزيد على عشرة ملايين صوفي في مصر، ويوجد بينهم ما لا يقل عن مليون يتبعون الفكر الشيعي)[4] ومع يقيننا أن ثمة مبالغة في هكذا كلام إلا أن الخطر الرافضي يبصره كل ذي لب، وعامة الصوفية وإن اختلفنا معهم إلا أن لفظ أهل السنة يحتويهم في الجملة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- :

(فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول إن القرآن غير مخلوق وإن الله يرى في الآخرة ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة)[5]

ويزيد الدكتور سفر الحوالي هذا الأمر إيضاحا بقوله:

(إن لمصطلح أهل السنة معنيان هما :

[أ] المعنى الأعم: وهو ما يقابل الشيعة، فيقال: المنتسبون للإسلام قسمان: أهل السنة والشيعة، مثلما عَنْوَنَ شَيْخ الإِسْلامِ كتابه في الرد على الرافضي "منهاج السنة "، وفيه بيَّن هذين المعنيين. وصرح أن ما ذهبت إليه الطوائف المبتدعة [هي] من أهل السنة بالمعنى [الأعم].

وهذا المعنى يدخل فيه كل من سوى الشيعة كالأشاعرة، لاسيما والأشاعرة فيما يتعلق بموضوع الصحابة والخلفاء متفقون مع أهل السنة، وهي نقطة الاتفاق المنهجية الوحيدة.

[ب] المعنى الأخص: وهو ما يقابل المبتدعة وأهل الأهواء وهو الأكثر استعمالاً وعليه كتب الجرح والتعديل، فإذا قالوا عن الرجل: إنه صاحب سنة أو كان سنياً أو من أهل السنة ونحوها، فالمراد أنه ليس من إحدى الطوائف البدعية كالخوارج والمعتزلة والشيعة، وليس صاحب كلام وهوى)[6].

فأهل السنة وعامة الصوفية وان اختلفوا إلا أن ما يجمعهم بالنسبة لما يفترقون به عن الشيعة الرافضة أكثر وأعظم فالاجتماع على مرجعية الوحيين وتعديل الصحابة نقاط ارتكاز لأن ندفع بعامة المتصوفة لأهل السنة لا أن ندفعهم للجهة المقابلة ومع هذا يبقى تبيين الحق واجب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في رتبة الإيجاب أيضا سواء أكان من المتصوفة هذا المنكر أو من غيرهم وما مثلنا ومثلهم إلا كقنافذ اجتمعوا في يوم بارد والتصق بعضهم ببعض ليحافظوا على حرارتهم غير أن وخز أشواكها عند التلاصق كان مزعجا فتفرقت ولكن شدة البرد جمعتها من جديد وخفف هذه المرة من احتكاكها والتصاقها فلم تشعر بوخز الإبر.

وينبغي أن يعلم أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها حسب الإمكان، وهي ترجح خير الخيرين وتدفع شر الشرين، ولا يسوغ في الشريعة دفع الفساد القليل بالفساد الكثير.

وما نقوله من الحول بين عامة الصوفية والرافضة يحكمه قانون المصلحة والمفسدة

- الآنف الذكر- إلا أن ارتكاب المفسدة الدنيا لا يجعلها مصلحة لذاتها بل لغيرها

وعليه فإنه يجب إنكار بدعة المبتدعة وفسق العاصي بله كفر الكافر، وإلا كان ثمة ظلال وإظلال وميل واعوجاج عن السنن الموصوف لهذه الدعوة.. (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) [الأنعام:٥٥].

الهوامش:

(١) http://www.alarabiya.net/articles/٢٠٠٧/٠٤/٢٦/٣٣٨٩٥.html

(٢) (الاثنا عشرية في الرد على الصوفية) الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤هـ ص١٤

(٣) شيعي رافضي رئيس ما يسمى بالمجلس الأعلى لرعاية آل البيت في مصر

(٤) جريدة الشرق الاوسط السبت ٢٥ جمادى الاولى ١٤٢٦ هـ ٢ يوليو ٢٠٠٥ العدد ٩٧١٣

(٥) منهاج السنة النبوية - (ج ٢ / ص ٢٢١)

(٦) منهج الأشاعرة في العقيدة للدكتور سفر الحوالي

قالوا في التصوف

الإمام الذهبي

صور من إنكار الإمام الذهبي على الصوفية، وبيان مخالفتهم لطريقة أهل الزهد والتنسك من المتقدمين، وتمحيص ما عند المتقدمين من خلل

قال / في ترجمة حاتم الأصم من كتابه سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٧) بعد أن ذكر قول حاتم الأصم: «لو أن صاحب خبر جلي إليك لكنت تتحرز منه وكلامك يعرض على الله لا تحترز. فقال: قلت: هكذا كانت نكت العارفين وإشاراتهم لا كما أحدث المتأخرون من الفناء والمحو والجمع الذي آل بجهلتهم إلى الاتحاد وعدم السوى».

وقال الذهبي / في السير (٢٢/ ٣٦٨): «قال ابن هلال: جلست عنده يعني: أبا الجناب أحمد بن عمر الخوارزمي في الخلوة مرارا، وشاهدت أموراً عجيبة، وسمعت من يخاطبني بأشياء حسنة.

فقال الذهبي معلقاً: قلت: لا وجود لمن خاطبك في خلوتك مع جوعك المفرط، بل هو سماع كلام في الدماغ الذي قد طاش وفاش وبقي قرعة كما يتم للمبرسم والمغمور بالحمى والجنون، فاجزم بهذا، واعبد الله بالسنن الثابتة تفلح».

وذكر الذهبي في ترجمة أبي حامد الغزالي من السير (١٩/٣٢٢) قول الغزالي: «وذهبت الصوفية إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فيجلس فارغ القلب مجموع الهم يقول: الله.. الله.. الله.. على الدوام، فليفرغ قلبه ولا يشتغل بتلاوة ولا كتب حديث!! قال: فإذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة في بيت مظلم وتدثر بكسائه فحينئذ يسمع نداء الحق!: (يا أيها المدثر) و(يا أيها المزمل)!».

قال الذهبي معقباً: «قلت: سيد الخلق إنما سمع: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) من جبريل عن الله، وهذا الأحمق لم يسمع نداء الحق أبداً! بل سمع شيطاناً أو سمع شيئاً لا حقيقة من طيش دماغه، والتوفيق في الاعتصام بالسنة والإجماع» انتهى كلامه / .

ونقل كلاماً للطرطوشي قال فيه: «وقال محمد بن الوليد الطرطوشي في رسالة له إلى ابن مظفر: فأما ما ذكرت من أبي حامد فقد رأيته وكلمته فرأيته جليلاً من أهل العلم، واجتمع فيه العقل والفهم، ومارس العلوم طول عمره، وكان على ذلك معظم زمانه ثم بدا له عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال ثم تصوف وهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين فلما عمل " الإحياء " عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية أنيس بها ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات».

قال الذهبي: «قلت أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير، لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علماً نافعاً، تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن وفسره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً ولم يأت نهي عنه، قال عليه السلام: (من رغب عن سنتي فليس مني) فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله وبإدمان النظر في "الصحيحين وسنن النسائي ورياض النووي وأذكاره تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب

«أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة.. وفيه خير كثير»

الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم».

وقال في ترجمة سعيد بن عبد العزيز الحلبي (١٤/ ٦٢) لما ذكر قول أبي نعيم الحافظ فيه من قوله: «تخرج به جماعة من الأعلام كإبراهيم بن المولد وكان ملازماً للشرع متبعاً له. قال: قلت: يعني أنه كان سليماً من تخبيطات الصوفية وبدعهم».

وقال الذهبي في ترجمة ابن الأعرابي (١٥/٤٠٧-٤١٢) في التمييز بين التصوف المحدث، والتنسك والتعبد الشرعي: «قلت: إي والله، دققوا وعمقوا وخاضوا في أسرار عظيمة ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس ما تفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين، فان طالبتهم بدعاويهم مقتوك، وقالوا: محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، رجاء مساكين محجوبون، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن الله ولزوم تقوى الله والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت وإفطار وقت، وبذل المعروف وكثرة الإيثار وتعليم العوام والتواضع للمؤمنين والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والعالم إذا عري من التصوف والتأله فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة زل عن سواء السبيل».

قال الذهبي / عن سيد الصوفية ابن عربي الطائي (٢٣/ ٤٨): «وكان ذكياً كثير العلم كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب ثم تزهد وتفرد وتعبد وتوحد وسافر وتجرد واهتم وأنجد وعمل الخلوات، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة، ومن أردء تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر! نسأل الله العفو والنجاة. فواغوثاه بالله، وقد عظمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات».

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/٤٧٢): «وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد، وهات العقل فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه واترك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه».

وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد، وهات العقل فاعلم أنه أبو جهل..

وقال الذهبي في ترجمة الحكيم الترمذي (١٣/٤٤٢): «كذا تُكلم في السُلمي من أجل تأليفه كتاب حقائق التفسير فيا ليته لم يؤلفه، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحات البسطامية، وتصوف الاتحادية، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة».

جاء في أعلام النبلاء ما نصه قال ابن هلالة: «جلستُ عنده يعني أبا الجناب أحمد بن عمر الخوارزمي في الخلوة مرارا، وشاهدتُ أموراً عجيبةً، وسمعتُ من يخاطبني بأشياء حسنةٍ».

قال الحافظ الذهبي معلقاً: «قلت: لا وجود لمن خاطبك مع جوعك المفرط، بل هو سماع كلامٍ في الدماغ، فاحزم بهذا، واعبد الله بالسنن الثابتة تفلح»..

سير أعلام النبلاء (٢٢/١١٢) بتصرف يسير

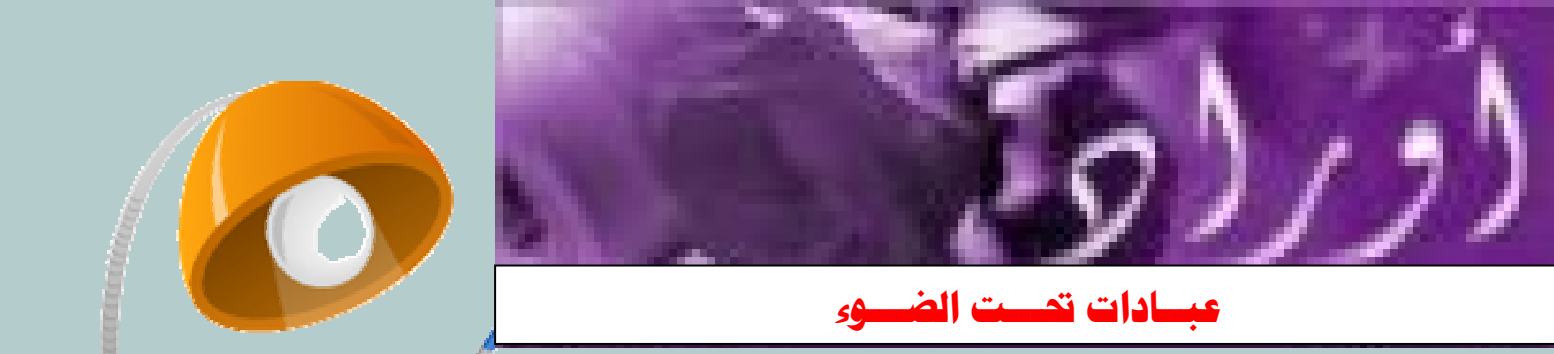

صلاة الفاتح لما أُغلق

الشيخ/ عبد الحميد بن باديس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فإن الذكر المشتهر بصلاة الفاتح لما أغلق من الأذكار المنتشرة عند بعض المسلمين، وقد ناقش هذا الذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس / بعبارات ناصحة في فتوى كتبها نسأل الله ألا يحرمه أجرها، وقد قدمنا الفتوى بذكر نص صلاة الفاتح لما أغلق وبعضاً من فضلها عندهم.

صلاة الفاتح لما أغلق

نصها:

«اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى حق قدره ومقداره»[1].

فضلها عند الطريقة التيجانية

جاء في جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني لعلي حرازم بن العربي الفاسي:

«ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها، فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبيراً وصغيراً ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار»[2].

الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

جواب صريح

تمهيد:

ورد سؤال على الأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوري وزير معارف الحكومة المغربية من الشيخ حافظ إبراهيم ربيشطي من أهل العلم ببلدة شقودرة بمملكة ألبانيا، عن أشياء منها ما يتعلق بالطريقة التجانية، فأجاب الأستاذ عن تلك المسائل كلها ونشر جوابه في مجلة «الرسالة» حيث نشر السؤال، ولقد أجاد الأستاذ في جوابه غير أنه أحاط كلامه في شأن الطريقة التجانية بشيء من الغموض؛ حمله عليه فيما أظن مركزه ومحيطه، وليس له في هذا عذر عند الله فإن السؤال كان واضحاً، والموضوع عظيماً هاماً، والموقف محتاجاً إلى صراحة لا يخاف فيها إلا الله، فرأيت من واجبي الديني أن أجيب بصراحة وأن آتي من كلام الأستاذ بما هو مؤيد لجوابي مع التعليق عليه لا أقصد من ذلك - علم الله- إلا النصح لإخواني الذين ضلوا بهذه الطريقة عن الصراط المستقيم هدانا الله كلنا إليه.

> فمن اعتقد أن صلاة الفاتح من كلام الله فقد خالف الإجماع في أمر ضروري من الدين وذلك موجب للتكفير..

تلخيص السؤال:

يدعي المنتسبون للطريقة التجانية:

١- أن قراءة «صلاة الفاتح» أفضل من تلاوة القرآن ستة آلاف مرة متأولين بأن ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بآداب القرآن.

٢- أن «صلاة الفاتح» من كلام الله القديم ولا يترتب عليها ثوابها إلا لمن اعتقد ذلك.

٣- وأن «صلاة الفاتح» علمها النبي ﷺ لصاحب الطريقة ولم يعلمها لغيره.

٤- وأن مؤسس الطريقة التجانية أفضل الأولياء.

٥- وأن من انتسب إلى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب، وتغفر ذنوبه الصغار والكبار، حتى التبعات، فهل الاندماج فيها غير مناف للشريعة الغراء؟

الجواب:

١- القرآن كلام الله و«صلاة الفاتح» من كلام المخلوق، ومن اعتقد أن كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق فقد كفر، ومن جعل ما للمخلوق مثل ما لله فقد كفر بجعله لله نداً، فكيف بمن جعل ما للمخلوق أفضل مما للخالق.

هذا إذا كانت الأفضلية في الذات فأما إذا كانت الأفضلية في النفع فإن[3] الأدلة النظرية والأثرية قاضية بأفضلية القرآن على جميع الأذكار وهو مذهب الأئمة من السلف والخلف، قال سفيان الثوري / : «سمعنا أن قراءة القرآن أفضل من الذكر»، نقله القرطبي في الباب السابع من كتاب «التذكار»، وقال النووي / : «واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك» قاله في الباب الثاني من كتاب التبيان، ومخالفة مثل هذا موجب للتبديع والتضليل.

٢- وأما زعم من زعم -متأولاً لتلك الأفضلية الباطلة- بأن «صلاة الفاتح» خير لعامة الناس من تلاوة القرآن لأن ثوابها محقق ولا يلحق فاعلها إثم، والقرآن إذا تلاه العاصي كانت تلاوته عليه إثماً لمخالفته لما يتلوه، واستدلوا على هذا بقول أنس الذي تحسبه العامة حديثاً: «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه» فهو زعم باطل؛ لأنه مخالف لما قاله أئمة السف والخلف من أن القرآن أفضل الأذكار، ولم يفرقوا في ذلك بين عامة وخاصة ولا بين مطيع وعاص، ومخالف لمقاصد الشرع من تلاوة القرآن، وذلك من وجوه:

الأول: أن المذنبين مرضى القلوب؛ فإن القلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح

صـلاة الفـاتح لمـا أغلـق

الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله فكل معصية يأتي بها الإنسان هي من فساد في القلب ومرض به، والله تعالى قد جعل دواء أمراض القلب تلاوة القرآن: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» [يونس:٥٧] «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» [الإسراء:٨٢] فمقصود الشرع من المسلمين أن يتلوه ويتدبروه ويستشفوا بألفاظه ومعانيه من أمراضهم ومن عيوبهم وذنوبهم، وذلك الزعم الباطل يصرف المذنبين -وأيُّنا غير مذنب؟- عن تلاوته.

الثاني: أن القلوب تعتريها الغفلة والقسوة والشكوك والأوهام والجهالات، وقد تتراكم عليها هذه الأدران كما تتراكم الأوساخ على المرآة فتطمسها وتبطل منفعتها، وقد يصيبها القليل منها أو من بعضها فلا تسلم القلوب على كل حال من أصابتها، فهي محتاجة دائماً وأبداً إلى صقل وتنظيف بتلاوة القرآن، وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذا فيما رواه البيهقي في "الشعب والقرطبي في التذكار «أن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قالوا: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن» فمقصود الشرع من المذنبين أن يتلوا القرآن لجلاء قلوبهم وذلك الزعم الباطل يصرفهم عنه.

الثالث: أن الوعيد والترهيب قد ثبتا في نسيان القرآن بعد تعلمه، وذهابه من الصدور بعد حفظه فيها، فروى أبو داود عن سعد -مرفوعاً-: «ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله أجذم»، وروى الشيخان عن عبد الله -مرفوعاً-: «واستذكروا القرآن؛ فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم»، فمقصود الشرع دوام التلاوة لدوام الحفظ ودفع النسيان، وذلك الزعم الباطل يؤدي إلى تقليلها أو تركها.

ومثل هذا الزعم في البطلان والضلال زعم أن تالي القرآن يأثم بقراءته مع مخالفته فإن المذنب يكتب عليه ذنبه مرة واحدة، ولا يكتب عليه مرة ثانية إذا ارتكب ذنباً آخر، وإنما يكتب عليه ذلك الذنب الآخر فيكف يكتب عليه ذنب إذا باشر عبادة التلاوة؛ والأصل القطعي -كتاباً وسنة- أن من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها، وهو يبطل أن تجدد له سيئاته إذا جاء بتلاوة القرآن.

وما قول أنس ا: «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه» فليس معناه أن القرآن يلعنه لأجل تلاوته، كيف وتلاوته عبادة؟! وإنما معناه أنه ربما تكون له مخالفة لبعض أوامر القرآن أو نواهيه من كذب أو ظلم مثلاً فيكون داخلاً في عموم لعنه للظالمين والكاذبين.

وهذا الكلام خرج مخرج التقبيح للإصرار على مخالفة القرآن مع تلاوته بعثاً للتالي على سرعة الاتعاظ بآيات القرآن وتعجيل المتاب، ولم يخرج مخرج الأمر التلاوة والانصراف عنها، هذا هو الذي يتعين حمل كلام هذا الصحابي الجليل بحكم الأدلة المتقدمة، ونظيره ما ثبت في الصحيح: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، قال الشراح -واللفظ للقسطلاني-: «وليس المراد الأمر بترك صيامه إذا لم يترك الزور، إنما معناه التحذير من الزور، فهو كقوله عليه الصلاة والسلام: «من باع الخمر فليشقص الخنازير» أي يذبحها، ولم يأمره بشقصها، ولكنه التحذير والتعظيم لإثم شارب الخمر، وكذلك حذر الصائم من قول الزور والعمل به، ليتم له أجره»، هذا فيمن يرتكب الزور وهو صائم فيكون متلبساً بالعبادة والمخالفة في وقت واحد، فكيف بمن كان ذنبه في غير وقت عبادة التلاوة؟

فالمقصود من كلام أنس تحذيره من الإصرار على المخالفة، وترغيبه في المبادرة بالتوبة ليكمل له أجر تلاوته بكمال حالته.

> من زعم أن محمداً مات وقد بقي شيء لم يعلمه للناس في حياته فقد أعظم على الله الفرية وقدح في تبليغ الرسالة..

٣- وليس عندنا من كلام الله إلا القرآن العظيم، هذا إجماع المسلمين حتى أن ما يلقيه جبريل -عليه السلام- في روع النبي ﷺ سماه الأئمة بالحديث القدسي، وفرقوا بينه وبين القرآن العظيم ولم يقولوا: فيه كلام الله، ومن الضروري عند المسلمين أن كلام الله هو القرآن وآيات القرآن، فمن اعتقد أن «صلاة الفاتح» من كلام الله فقد خالف الإجماع في أمر ضروري من الدين وذلك موجب للتكفير.

٤- قد بعث النبي ﷺ معلماً كما صح عند [٤]، وعاش معلماً آخر لحظة من حياته، فتوفاه الله تعالى نبينا ورسولاً ونقله للرفيق الأعلى، وقد أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، وانقطع الوحي وانتهى التبليغ والتعليم، وترك فينا ما إن تمسكنا به لن نضل أبداً وهو كتاب الله وسنته، كما صح عنه، هذا كله مجمع عند المسلمين، وقطعي في الدين، فمن زعم أن محمداً مات وقد بقي شيء لم يعلمه للناس في حياته فقد أعظم على الله الفرية وقدح في تبليغ الرسالة، وذلك كفر، فمن اعتقد أن «صلاة الفاتح» علمها النبي ﷺ لصاحب الطريقة التجانية دون غيره، كان مقتضى اعتقاده هذا أنه مات ولم يبلغ وذلك كفر، فإن زعم أنه علمه إياها في المنام فالإجماع على أنه لا يؤخذ شيء من الدين في المنام مع ما فيه من الكتم وعدم التبليغ المتقدم.

هذا وقد ثبت في الصحيح أن الصحابة -ي- سألوا النبي ﷺ: كيف يصلون عليه؟ فانتظر الوحي وعلمهم الصلاة الإبراهيمية، وقد تواترت في الأمة تواتراً معنوياً، ونقلها الخلف عن السلف طبقة عن طبقة وأجمع الناس على مشروعيتها في التشهد، ومن مقتضى الاعتقاد الباطل المتقدم أنه ﷺ كتم عن أفضل أمته ما هو الأفضل، وحرم منه قروناً من أمته وهو الأمين على الوحي وتبليغه، الحريص على هداية الخلق وتمكينهم من كل كمال وخير، فمن قال عليه ما يقتضي خلاف هذا؛ فقد كذب عليه وكذب ما جاء به، ومن رجح صلاته على ما علمه هو ﷺ لأصحابه -ي- بوحي من الله واختيار منه تعالى فقد دخل في وعد: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا» [الأحزاب:٣٦].

٥- لا تثبت الأفضلية الشرعية إلا بدليل شرعي ومن ادعاها لشيء بدون دليل فقد تجرأ على الله، وقفا ما ليس به علم، وقد أجمعت الأمة على تفضيل القرون المشهود لها بالخيرية من الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، فاعتقاد أفضلية صاحب الطريقة التجانية تزكية على الله بغير علم وخرق للإجماع، موجب للتبديع والتضليل.

٦- عقيدة الحساب والجزاء على الأعمال قطعية الثبوت ضرورية العلم، فمن اعتقد أنه يدخل الجنة بغير حساب فقد كفر.

فالمندمج في الطريقة التجانية على هذه العقائد ضال كافر، والمندمج فيها دون هذا العقائد عليه أثم من كثر سواد البدعة والضلال.

ثم هاكم من جواب الأستاذ عن فصول السؤال، مما يؤيد جوابنا مع تعليقنا عليه:

«ومن المكر الخفي والكيد للإسلام المنطوي تحت هذه المقالة تزهيد الناس في القرآن العظيم وفي تلاوته ثم الأعراض عنه إلى ما هو أخف عملاً وفي الميزان أثقل في

صـلاة الفـاتح لمـا أغلـق

زعمهم الباطل، وأني لأعجب لمسلم استنار بنور القرآن يقبل هذه المقالة في الإسلام، فلا حول ولا قوه إلا بالله».

لهذه وغيره نقول: إن الطريقة التجانية ليست كسائر الطرق في بدعها، والمشاهد اليوم من أضرارها، ودعنا من حديث ماضيها بما فيه، بل هي طريقة موضوعة لهدم الإسلام تحت اسم الإسلام، فإن كتبها وأقوال أصحاب صاحبها مطبقة على هذه الأفكار وأكثر منها، فلا تجد في كتبهم ما هو خالص منها حتى يمكن أن يكون هو الأصل وأن غيره مدسوس، وأنك لتجد هذه الكتب محل الرضى والقبول والتقديس عند جميع أتباع الطريقة عالمهم وجاهلهم، ولو كان عالمهم بالكلمة المنسوبة إلى صاحب الطريقة والله أعلم بصحة نسبتها -: «زنوا كلامي بميزان الكتاب والسنة» - لأعدموا تلك الكتب أو حرموا على جماعتهم قراءتها، أو حذفوا منها هذه الكفريات والأضاليل، وأعلنوا البراءة منها للناس، لكن شيئاً من ذلك لم يقع، وإنما يطنطنون بتلك الكلمة قولياً، ويقرون تلك الكتب وما فيها عملياً، وماذا يفيد القول مع التقرير والعمل، ولهذا رغم من كان في هذه الطريقة من أناس مشهورين بالعلم كالشيخ الرياحي فإن الحالة هي الحالة، وتلك الكفريات والأضاليل فاشية منتشرة في أتباع الطريقة إلى اليوم.

قال الأستاذ الحجوري بعدما نقل أقوالهم في ضمان شيخهم ومضاعفة الأجور لهم ودخولهم الجنة بغير حساب -: «فكأنها «الطريقة التجانية» ورقة حماية من دولة لها سلطة عالية، تعالى من يجير ولا يجار عليه، فكأنهم نسوا القرآن».

فبهذا صارت الطريقة التجانية في نظر أهل العلم بالسنة والكتاب كأنها مسجد الضرر ضد الإسلام، فالله يقول في نبيه خاتم النبيين، وهم يقولون في الشيخ التجاني: هو الختم وهو لبنة التمام للأولياء. فحجروا على الله ملكه وقطعوا المدد المحمدي وهم لا يبالون أو لا يشعرون، وحتى أن شعروا فالمقصد يبرر الواسطة، وإذا سمعوا أن النبي أفضل النبيين قالوا: إن التجاني رجله على رقبة كل ولي لله. بهذه العبارة الجافة من كل أدب الجارحة لعواطف كل مسلم؛ لأن الولي في عرفهم يشمل النبي إذ يقولون: إن ولاية النبي أفضل من نبوته، ولا يبالون أن يكون أصابهم أفضل من أبي بكر وعمر والعشرة المبشرين بالجنة الذين كانوا يخافون الحساب ولا يأمنون العقاب، ولم يكن عندهم بشارة بالنجاة منهما، إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون».

دعا الإسلام إلى الجد ومحاسبة النفس والعمل على الخوف والرجاء في جميع نواحي الحياة الدنيا على أن يكون ذلك على السداد والإخلاص ليكون ذخراً لسعادة الأخرى، فجاءت عقيدة ضمان الشيخ ودخول الجنة بلا حساب هادمة لذلك كله، وقد ظهرت آثارها بالفعل كما حكاه الأستاذ الحجوري فيما يلي:

«حكي لي بعض القضاة قال: كان في محكمتي تسعون عدلاً في البادية، وقد تقصيت أخبار الصالح والطالح منهم لأعلم مقدار ثقتي بهم في حقوق المسلمين، فوجدت عشرين منهم متساهلين لا يؤتمنون على الحقوق، وحين دققت النظر في السبب تبين لي أنهم جميعاً تجانيون، فبقيت متحيراً حتى انكشف لي أن السبب هو اتكالهم على أنه لا حساب ولا عقاب يترصدهم، فانتزع الخوف من صدورهم».

هذا في العدول وهم من أهل العلم فكيف بالعامة؟

> فاعتقاد أفضلية صاحب الطريقة التجانية تزكية على الله بغير علم وخرق للإجماع..
> بل هي طريقة موضوعة لهدم الإسلام تحت اسم الإسلام

فهذه الطريقة ما وضعت إلا لهدم الإسلام، ولا أجزم بأن صاحبها هو الذي وضعها هذا الوضع، فقد يكون فيمن اتصل به من كاد هذا الكيد، ودسّ، وليس مثل هذا الكيد جديداً على الإسلام، قال الإمام ابن حزم في كتاب «الأحكام» (٣/ ٢١): «فإن هذه الملة الزهراء الحنيفة السمحة كيدت في وجوه جمة، وبغيت لها الغوائل من طرق شتى، ونصبت لها الحبائل من سبل خفية، وسعي عليها بالحيل الغامضة، وأشد هذه الوجوه سعي من تزيا بزيهم، وتسمى باسمهم ودسّ لهم سم الأساود في الشهد والماء البارد، فلطف لهم من مخالفة الكتاب والسنة، فبلغ ما أراد ممن شاء الله تعالى خذلانه، وبه تعالى نستعين من البلاء، ونسأله العصمة بمنه، لا إله إلا هو».

> وإذا سمعوا أن النبي أفضل النبيين قالوا أن التجاني رجله على رقبة كل ولي لله

« كلمة إلى العلماء»

[وفي مقدمتهم صديقي العلامة الأستاذ البشير النيفر التونسي].

إنني أدعو كل عالم تجاني إلى النظر في فصول السؤال والجواب، فإن أقروا ما أنكرناه فليعلنوا إقرارهم له، وإذا أنكروا ما أنكرناه فليعلنوا إنكارهم له، يصرحوا:

١- بأن «صلاة الفاتح» ليست من كلام الله.

٢- وأنها ليست مثل الصلاة الإبراهيمية.

٣- وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها لصاحب طريقتهم.

٤- وأن لا فضل له ولا لأتباعه إلا بتقوى الله.

٥- وأن المنتسب إلى طريقتهم لا يمتاز من المسلمين عن غير المنتسب إليها.

ومن لم يصرح بهذا باء بوزره ووزر الهالكين من الجاهلين، وكان عليه إثم الكاتمين من العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

«ربنا افْتح بيننا وبين قَومِنا بِالْحق وأنت خير الْفَاتِحِين» [الأعراف:٨٩][٥][٦].

الهوامش:

[١] أحزاب وأوراد التجاني (١٢) تحقيق محمد الحافظ.

[٢] انظر جواهر المعاني (١/١٣٦).

[٣] راجع (٥/٣) من الشهاب.

[٤] كذا في الأصل والكلام ناقص، وربما يكون: أصله أو عنه.

[٥] ش: (جـ ٧)، (م ١٤)، (ص ٤٩ - ٥٧). (غرة رجب ١٣٥٧ هـ - سبتمبر ١٩٣٨).

[٦] كتاب ابن باديس حياته وآثاره، جمع ودراسة: د. عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، (ط.٢) سنة (١٤٠٣هـ)، الجزء الثالث، (ص(١٤٢-١٧٤).

❖ ❖ ❖

الصوفية في عقل راند

نائل عبد الرحمن

منذ عدة سنوات تزايد اعتناء مراكز الدراسات الغربية بدراسة الحركات الإسلامية وموقعها وتأثيرها داخل مجتمعاتها، مضافاً إلى ذلك بطبيعة الحال توصيات وتصورات لتهميش هذه الحركات وإبعادها عن مجال التأثير والفعل في الدول الإسلامية.

برز إنتاج مركز راند للدراسات - وهو مركز أمريكي يحمل صفة شبه رسمية- في مقدمة جهود التنظير للتعامل الغربي -الأمريكي- مع الحركات الإسلامية، وبعد هجمات سبتمبر (٢٠٠١م)، أصدر المركز عدداً من الدراسات أبرزها تقرير "الإسلام المدني الديمقراطي" لمؤلفته شيريل بينارد عام (٢٠٠٤م)، وتقرير "بناء شبكات من المسلمين المعتدلين في العالم الإسلامي" عام (٢٠٠٧م)، وشارك في تأليفه كلا من: أنجيل رابسا - شيريل بينارد - لويل شوارتز - بيتر سكيل.

تميز التقريران الأخيران بإعطاء الطرق الصوفية مساحة متزايدة من الأهمية باعتبارها أحد البدائل المتاحة أمام المخطط الأمريكي لإزاحة التيارات الإسلامية وإحلال الصوفية مكانها، إلا أن طريقة تناول كلا من التقريرين للطرق الصوفية جاءت مختلفة.

فالتقرير الأول "الإسلام المدني الديمقراطي" أفرد مساحة أوسع للحديث عن الصوفية، وقد صنفها ضمن ما وصفه بـ"الإسلام التقليدي المعتدل" معتبراً أن هذا التيار هو الأكثر شعبية وأغلبية في العالم الإسلامي، وأهم مزية لهذا التيار - حسب التقرير - أنه يرفض نموذج " الإسلام الذي يقدمه السلفيون والتيارات المتشددة، وقد اعتبر التقرير أن رموز إسلامية مثل "د. يوسف القرضاوي" يمكن أن تصنف ضمن التيار التقليدي.

أما التقرير الثاني، فقد احتفظ للصوفية بأهميتها الاستراتيجية في التخطيط الأمريكي، لكنه أفرد لها مساحة أقل، كما أنه تلاعب في تعريف الاعتدال والتقليدية، فاعتبر أن "د. يوسف القرضاوي" مصنف ضمن السلفية المتشددة، بينما أبقى على الصوفية ضمن إطار التقليدية، وأسبغ سمات الصوفية على نموذج "المسلم المعتدل"، وقدم التقرير تعريفاً للمعتدلين بأنهم: "من يقومون بتقديس أئمتهم أو شيوخهم ويأخذون بالإسلام التقليدي دون التفسير الدقيق وغير الوسيط للقرآن والحديث يعني أنهم يفتقرون إلى واسطة دوماً - ويصلون في القبور ويقدمون نذورهم ويؤدون الكثير من الأمور التي يمقتها الوهابيون".

التقرير الثاني لمن تأمله، جاء مكدساً بالإيحاءات والمغالطات المنهجية والمعلوماتية، وهو مسلك مقصود -فيما أعتقد- القصد منه تدشين حملة موسعة لإعادة تعريف الإسلام والإسلاميين والمسلمين، وما يتعلق بذلك من مفاهيم ومصطلحات وكيانات وتيارات، وفيما يتعلق بالصوفية يمكن ملاحظة ثلاثة مواطن في التقرير تلخص التصور الذي يقدمه مركز راند لتوظيف الطرق الصوفية لخدمة الرؤية الأمريكية في إزاحة التعريف "السلفي" للإسلام، ومن يحمله من تيارات وحركات.

أولاً: الصوفية شبكات جاهزة - ورؤية قاصرة:

أحد الفرضيات التي انطلقت منها الدراسة هي أن من وصفتهم بـ" لإسلاميين الراديكاليين " هم الأكثر نفوذاً وتأثيراً ووصولاً لكل بقعة يسكنها الإسلام سواء في أوروبا أو أمريكا الشمالية رغم ضآلة أعدادهم النسبية، في مقابل ضعف التيارات الإسلامية المعتدلة والليبرالية - حسب تصنيف راند - والتي لا يوجد لديها شبكات واسعة حول العالم كتلك التي يملكها الأصوليون، وبناء على ذلك فإن التوصية المقدمة هي اضطلاع الإدارة الأمريكية بتوفير المساندة للإسلاميين المعتدلين - في مقدمتهم الصوفية - من خلال بناء شبكات واسعة وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم لبناء حائط صد في مواجهة الشبكات الأصولية.

لا يوجد شك في حجم المغالطة التي يحملها هذا التقدير، فمن قال: إن الصوفية لا تمتلك شبكات واسعة حول العالم، ومن قال: إنهم يفتقدون للتمويل اللازم؟

> الاستراتيجية الأمريكية معتمدة على ميزانين للتعامل مع التيار الإسلامي التقليدي الصوفي: الأول هو ميزان الاعتدال، والثاني هو ميزان التعاون.

> التقرير الثاني لمن تأمله، جاء مكدساً بالإيحاءات والمغالطات المنهجية والمعلوماتية، وهو مسلك مقصود – فيما أعتقد – القصد منه تدشين حملة موسعة لإعادة تعريف الإسلام والإسلاميين والمسلمين

إن الطرق الصوفية وأتباعها لا يكاد يخلو منها بلد مسلم أو غير مسلم، بل إن عدداً كبيراً من الطرق تُعد طرقاً دولية، نتيجة انتشارها في عدد من البلدان مع ارتباط الأتباع في هذه البلاد من خلال الموالد والمهرجانات، وتقدم حصيلة صناديق الموالد والنذور والأضرحة إيرادات هائلة للطرق الصوفية تنفق منها على أنشطتها بخلاف ما يتم اختلاسه ونهبه، وما يوجه إلى ميزانية الدولة التي توجد بها الأضرحة.

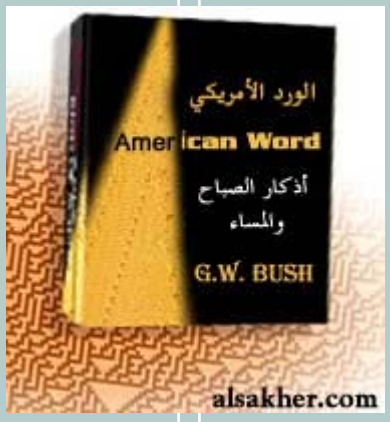

كما تبدو بعض الطرق الصوفية عابرة للحدود والجنسيات، كما هو الحال مع الطريقة التيجانية التي تنتشر في غرب إفريقيا تحديداً، وهذه الطريقة تمتلك نفوذاً سياسياً يصل إلى مستوى رئاسة الدولة وهي تعقد لقاءات ومؤتمرات ومهرجانات تمثلها في عدد من الدول.

لكن أهم ما تفتقده الطرق الصوفية وجود رؤية عالمية واحدة تحمل أهدافاً واضحة

الصوفية في عقل راند

وآليات متفق عليها، وهذا ما يمكن أن تقدمه الولايات المتحدة من خلال توظيف الشبكات الصوفية الجاهزة لمواجهة الفكر السلفي -الوهابي- والتيارات التي تحمله وتتبناه.

إذن الادعاء بحاجة أمريكا إلى بناء شبكات معتدلة، هو مجرد ادعاء لا يصح على الأقل فيما يتعلق بالإسلام التقليدي الصوفي.

ثانياً: ميزان الاعتدال وميزان التعاون:

تحدث تقرير راند ضمن الخبرات المستقاة من تجربة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والشيوعية، عن توحيد المعارضين للشيوعية في إطار واحد مع التغاضي عن الخلافات الفكرية الناشئة أصلاً بين هؤلاء المعارضين وبين السياسة الأمريكية، ويشير التقرير إلى وجود خلافات في الرأي داخل أروقة السياسة الأمريكية بخصوص التعامل مع هؤلاء المخالفين للنمط الغربي، ولكن في نهاية الأمر تم تغليب ميزان التعاون، ويقول التقرير في هذا الصدد: "في النهاية لجأت الولايات المتحدة إلى بناء تحالف كبير يضم جميع من ينتقد الأيديولوجية الشيوعية، لذا تم تأسيس ما يطلق عليه "كونجرس الحرية الثقافية".

هذه المنهجية التي يدعو التقرير إلى تطبيقها في مواجهة الولايات المتحدة لتيارات الإسلام " الراديكالي " من شأنها تجاوز أي خلافات أو اختلافات، وبعض الطرق الصوفية صنفها التقرير بوصفها متشددة أو متطرفة، وذكر مثالاً على ذلك الأحباش في لبنان، لكن هذا لا يمنع من تحقيق قدر من التعاون معها، فالمهم هو الهدف وليس التوافق التام بين المتحالفين لتحقيق هذا الهدف.

أيضاً فإن طبيعة التفسير " الصوفي " للإسلام يتسم بـ " الخمول " كما ذكرت شيريل بينارد في تقرير عام (٢٠٠٤م)، تجعل من مزية الصوفية عيباً في نفس الوقت ؛ لأن هذا الخمول هو الذي جعلها معتدلة بالأساس في الرؤية الأمريكية، لكنه يمثل عقبة في تفعيله.

وبذلك تكون الاستراتيجية الأمريكية معتمدة على ميزانين للتعامل مع التيار الإسلامي " التقليدي " الصوفي: الأول هو ميزان الاعتدال، والثاني هو ميزان التعاون.

وبالإضافة إلى المواصفات التي ذكرناها سابقاً لميزان الاعتدال، فإن التقرير يضيف سمات أخرى للمعتدلين، منها: القبول بالديمقراطية - القبول بالمصادر غير المتعصبة في تشريع القوانين - نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع- احترام حقوق النساء والأقليات الدينية.

هذه السمات لا يوجد تعارض بينها وبين الإسلام الصوفي، حتى وإن تعارضت بعض المفاهيم الدينية لدى الصوفية مع مفاهيم الديمقراطية والعلمانية، فإن آلية التدين الصوفية المرنة تكفل تجاوز مثل هذه العقبات، وبذلك فإن الصوفية تقدم خياراً مفضلاً للسياسة الأمريكية في هذا الصدد، حيث يمكن للطرق الصوفية المؤثرة أن تلعب دوراً سياسياً منافساً للدور الذي تمارسه الجماعات الإسلامية السياسية الموسومة بـ - التشدد - في التقرير مثل جماعة الإخوان المسلمين، وإذا

> يمكن للطرق الصوفية المؤثرة أن تلعب دوراً سياسياً منافساً للدور الذي تمارسه الجماعات الإسلامية السياسية الموسومة بالتشدد

استحضرنا تجربة التيجانية في المغرب الإفريقي، والنقشبندية في تركيا، يمكن إدراك المستوى الذي يمكن أن تلعبه الطرق الصوفية في المستقبل في دول أخرى، خاصة إذا نجحت السياسة الأمريكية في توجيه تلك الشبكات " الجاهزة " لممارسة دور أكبر فعالية في مجتمعاتها ولو من وراء ستار.

أيضا فإن الطرق الصوفية تقدم مجالين رئيسين آخرين للتعاون من خلال الدعم الأمريكي، أولهما: توفير الكوادر المناسبة لتسلم المناصب الدينية الرسمية، وهو ما أشار إليه التقرير صراحة، وثانيهما: تقديم بدائل صوفية للدعاة الجماهيريين.

> يدعو التقرير صراحة إلى التركيز على دول الأطراف في العالم الإسلامي، خاصة في آسيا والتواجد الإسلامي في أوروبا، مع إهمال المركز العربي في المنتصف

ثالثاً: نقل مركزية التأثير من الداخل إلى الخارج:

يقول النبي ﷺ في حديثه الشريف: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»[1] وكأن باحثي مركز راند قرؤا هذا الحديث، فهم يعملون به، فإن آراء الباحثين تتجه إلى إقامة حصار ديني فكري حول مركز الإسلام في قلب العالم الإسلامي، ليتحول من مركز إشعاع إلى مركز تلقي.

ويدعو التقرير صراحة إلى التركيز على دول الأطراف في العالم الإسلامي، خاصة في آسيا والتواجد الإسلامي في أوروبا، مع إهمال المركز العربي في المنتصف وبخاصة السعودية التي تصدر "الوهابية"، وذلك انطلاقاً من كون الاعتدال - حسب مفهومه الأمريكي - أكثر تواجداً وترسخاً في هذه المناطق، ومن ثم يتم إعادة النماذج التي يتم بناؤها للتصدير إلى دول المركز.

هذه الأطراف "المصدرة" والتي سيتم صنع نماذج إسلامية جديدة بها، تتمتع بانتشار صوفي واسع النطاق في أرجائها، وتنوه الدراسة إلى أن الصوفية تتمتع بمكانة مميزة في كل من البوسنة وسوريا وكازاخستان وإيران وإندونيسيا، أما في المغرب وتركيا والهند وألبانيا وماليزيا فهي تأخذ طابعاً رسمياً يزيد من تأثيرها، ويشير تقرير راند إلى تجربة نموذجية في تركيا، هي تجربة "فتح الله كولن"، والتي يعتبرها مثالا للصوفية المتمدنة ؛ لأنها تعارض سياسة فرض الشريعة الإسلامية، وترفض محاولة فرض الدين على المجتمع بزعم أن الدين يمثل شكلاً من أشكال الخصوصية الفردية.

لو أردنا أن نلخص أخطر ما يدعو التقرير إلى تحقيقه بالنسبة للصوفية في تقرير راند (٢٠٠٧م)، فإنه:

أولاً: نقل مراكز الإعداد والتجهيز و" النمذجة " إلى دول الأطراف، ومن ثم إعادة التصدير إلى دول المركز.

ثانياً: دفع الجماهير المتأثرة بالطرق الصوفية إلى ممارسة دور فعال في دعم أحزاب أو مرشحين سياسيين موالين للمصالح الأمريكية.

ثالثاً: ترويج تفسير خامل مرن منحرف للإسلام وترويجه في مواجهة الإسلام " السلفي الوهابي ".

إحـــدى فـــروع الطريقـــة القادريـــة

الطريقة الكسنزانية

رأفـــت صـــلاح الـــدين

الكسنزان هو مصطلح صوفي اتخذه مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية شعاراً لهم حتى باتت طريقتهم تعرف اختصاراً بالطريقة الكسنزانية. وأصل هذه اللفظة من الناحية اللغوية يرجع الى اللغة الكردية وهي تعني باللغة العربية (لا أحد يدري) أو (لا أحد يعلم).

وأما من الناحية التاريخية فإن هذه اللفظة أول ما أطلقت على جدّهم عبد الكريم الأول الملقب بـ (شاه الكسنزان) وذلك لأنه قبل تسلمه لمشيخة الطريقة اختفى في جبال(قرداغ) شمال العراق لمدة أربع سنوات دون أن يعلم أحد بمكانه، فكان إذا سئل عنه قيل: (كسنزان). وبعد انقضاء السنين الأربع أخبرهم شيخ الطريقة القادرية آنذاك وهو خاله، بمكانه في الجبل، فذهبوا إليه فوجدوه - حسب زعمهم - منقطع لعبادة ربه في كهف في ذلك الجبل.

استلم الشيخ عبد الكريم مشيخة الطريقة يداً بيد من خاله، واستمر لقب الكستزان مع اسم الشيخ ومن ثم طريقته، ثم أطلق على أبنائه وأحفاده، كما أنَّ هذا اللقب جرى على ألسنة الخلق عَلَماً للطريقة العلية القادرية الكسنزانية التي تبنّى مشيختها الشيخ وأبناؤه وأحفاده من بعده .

وقد بين مشايخ الطريقة أن لهذا اللقب دلالات روحية خاصة عند أهله فهو يعني (سر الأسرار) أو السر الذي لا يمكن لأي ولي أن يكشفه مهما علت مرتبته فهو خاص بالعائلة الكسنزانية يتوارثونه يداً بيد (كما يقولون) إلى قيام الساعة.

بهذا السر الذي يمكن أن نصفة (بالسر الأعظم) قالوا: إن الطريقة الكسنزانية هي سيدة الطرق الصوفية في العالم. وأما اسم العشيرة التي تنتمي إليها عائلة الشيخ محمد فهي عشيرة البرزنجية، والأب الأعلى لهذه العشيرة الشيخ عيسى البرزنجي هو أول من سكن في برزنجة من شمال العراق، فالسادة البرزنجية - كما يلقبون - اليوم هم أكبر العشائر في شمال العراق.

وتقوم هذه الطريقة على تدريب مريديها على الاختفاء وضرب السيوف في الجسم وكذلك واستعمال الأسلحة النارية بجميع أنواعها. .وهذه الطريقة منتشرة في العراق ولها أكبر التكيات في العراق.

وشيخ الطريقة الحالي هو الشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد القادر بن عبد الكريم شاه الكسنزان.

ولادته ونشأته - بحسب موقعهم على النت -:

ولد في (قرية كربجنة) التابعة لناحية (سنكاو) من محافظة كركوك في شمال العراق فجر الجمعة الرابع عشر من شهر صفر (سنة ١٣٥٨ هـ) الموافق للخامس عشر من شهر نيسان (سنة ١٩٣٨م)، وهذه القرية التي ولد فيها هي موطن مشايخ الطريقة الكسنزانية، ومنذُ سنواته الأولى التي قضاها في (كربجنة) كان شيخ الطريقة هو والده الشيخ عبد الكريم الكسنزان الذي أُنيطت به المشيخة من قِبَلِ أخيه الأكبر الشيخ حسين الكسنزان والذي كان يُطلق عليه ولا زال لقب (السلطان) وهو الذي سمّى المولود الجديد للشيخ عبد الكريم محمداً.

والسلطان حسين هو النجل الأكبر للشيخ عبد القادر الكسنزان، أما والد الشيخ فهو الشيخ عبد الكريم الذي تولّى مشيخة الطريقة، وعلى يديه كَثُرَ عدد المريدين.

> تقوم هذه الطريقة على تدريب مريديها على الاختفاء وضرب السيوف في الجسم

وشيخ هذه الطريقة المدعو محمد بن عبد الكريم المسمى بالوارث تورث المشيخة عن أبيه، مع العلم بأن الأب والابن لا يقيمان لأركان الإسلام كالصلاة والصيام وزناً، ولا يؤديان الفرائض ولا النوافل، ويعتقد فيهما العوام الولاية، أعاذنا الله من شر الاعتقاد.

نسبه المزعوم:

مع أن شيوخ هذه الطريقة أكراد الأصل والمولد والمنشأ واللغة، فقد زعموا لأنفسهم نسباً للنبي - صلى الله عليه وسلم - يلاحظ أنه متخماً بالأسماء الكردية، فيا سبحان الله!! لعلها إحدى كراماتهم، ومن المضحكات المبكيات أن الشيخ محمد (قدس الله سره) قد سمى أولاده: نهرو وغاندي وملاص، بدلاً من الحسن والحسين مثلاً.

وسلسلة النسب المزعوم كالتالي:

السيد الشيخ محمد الكسنزان بن السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد عبد الكريم الشاه الكسنزان بن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد إسماعيل الولياني بن السيد محمد النودهي بن السيد بابا علي الوندرينه بن السيد بابا رسول الكبير بن السيد عبد السيد الثاني بن السيد عبد الرسول بن السيد قلندر بن السيد عبد السيد بن السيد عيسى الأحدب بن السيد حسين بن السيد بايزيد بن السيد عبد الكريم الأول بن السيد عيسى البرزنجي بن السيد بابا علي الهمداني بن السيد يوسف الهمداني بن السيد محمود المنصور بن السيد عبد العزيز بن السيد عبد الله بن السيد إسماعيل المحدث بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى.

دراسته:

أخذ الشيخ محمد الكسنزان الطريقة عن والده، وأخذ معها علوم التصوف، وأخذ العلوم الشرعية والعربية في مدرسة جدّه مدرسة (كربجنة) الدينية، فدرس العلوم العربية والإسلامية على كبار علمائها منهم الملا كاكا حمه سيف الدين والملا علي مصطفى والملا عبد الله عزيز الكربجني. بحسب موقعهم على النت.

جلوسه على سجادة المشيخة:

إن الجلوس على سجادة المشيخة في نظر أهل هذه الطريقة، هو اختيار وتعيين علوي يجري بأمر الله تعالى وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومن يتم اختياره لهذه المهمة يكون دائماً موضع نظر الله تعالى

الطريقـة الكـسنزانية

ورعايته، فيفيض عليه ما يفيض من أنوار، ويُمِدُّهُ بما يشاء من مدد ليكون أهلاً للوراثة المحمّدية - كما يزعمون -.

ففي آخر زيارة قام بها الشيخ عبد الكريم الكسنزان لأضرحة المشايخ في قرية (كربجنة) كان ابنه محمد بصحبته، وكان في تلك الزيارة عدد كبير من الخلفاء والدراويش والمحاسيب والأتباع. وبعد أن انتهى من مراسيم الزيارة، جلس وكانت علامات السرور تعلو وجهه وقال: (يا أولادي الدراويش! منذ اليوم يكون السيد الشيخ محمد شيخكم، وهذا أمر أساتذتنا - هكذا -، ومَن أطاعه فقد أطاعنا، ومَن أحبه أحبنا، ومَن خرج عن أمره فقد خرج عن أمرنا). ثم نظر ملتفتاً إلى أضرحة المشايخ قائلاً: (أنا أودعكم الآن وستكون هذه آخر زيارة لكم، وهذا وكيلكم الذي أوكلتموه - مشيراً إلى نجله -). وقد توفي في عام (١٣٩٨ هـ) الموافق للعام (١٩٧٨م) بعد زيارته الأخيرة بفترة وجيزة...

وهكذا قام الشيخ محمد الكسنزان مقام والده الشيخ عبد الكريم بعد وفاته، وتولّى أمور الطريقة، وبايعه الخلفاء والدراويش سنة (١٣٩٨هـ) الموافق (١٩٧٨م). وذاع صيت الشيخ محمد الكسنزان، وانتشرت الطريقة الكسنزانية في جميع أنحاء العراق فلا تكاد تجد مدينة أو قرية إلّا ولهم تكيةٌ يقصدها أتباعهم بل جاوز ذلك البلدان الأخرى كإيران وتركيا والجمهوريات القوقازية والهند وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوروبا.

مؤلفاته الصوفية:

١ – كتاب الأنوار الرحمانية في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية.

٢ – نشر كتاب: جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر.

٣ – كتاب الطريقة العلية القادرية الكسنزانية.

٤ – موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان.

وله عدد آخر من الكتب والرسائل تحت الطبع منها:

- ألرؤى والأحلام في المنظور الصوفي.
- خوارق الشفاء الصوفي والطب الحديث.
- ألكرامات في طور جديد.
- ألكسنزان والإنسان.
- ألتصوف.. قانون السماء الأول.
- ألدعاء مخ العبادة.
- إطالة الشعر في الإسلام.
- ألسبحة في الإسلام.
- ألخلوة في الإسلام.
- ألتكايا بيوت الله.
- ألمولد النبوي وأهميته في العصر الحديث.
- ألبيعة والمعاهدة عند الصوفية.

كما قام بـ:

- تأسيس (كلية الشيخ محمد الكسنزان الجامعة)، والتي تضم إلى جانب قسم علوم الشريعة والتصوف وحوار الأديان، أقسام أُخرى في علوم الاقتصاد والسياسة والقانون واللغة وعلوم الحاسبات والرياضيات التطبيقية، وهذه الكلية هي بمثابة نواةٍ لجامعة يكون لها فروع في جميع دول العالم كما يأمل.
- تصميمه لتقويمٍ إسلاميّ، هذا التقويم هو (التقويم المحمدي)، وهو تقويم يؤرخ للأحداث نسبة لولادة الرسول.
- تأسيس (المجلس المركزي للطرق الصوفية في العراق) جاء هذا المجلس ليوحِّد كلمة الصوفية في العراق، كما يهدف

> إن الجلوس على سجادة المشيخة في نظر أهل هذه الطريقة، هو اختيار وتعيين علوي يجري بأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم

هذا المجلس إلى فتح قناةٍ للحوار والتعارف مع بقية التجمعات والمجالس والطرق وأفراد الصوفية في العالم. ويطمح الكسنزان إلى أن يجد هذا المجلس صداه في قلوب وعقول الصوفية في العالم، ليجتمعوا على تكوين مجلس مركزي عالمي للتصوف الإسلامي يكون له فروع رئيسية في كل دولة من دول العالم.

- موقع التصوف الإسلامي وهو نافذة عصرية يطلّ من خلالها على العالم.
- موقع (الطريقة العليَّة القادريَّة الكسنزانيَّة) وهو موقع متخصِّص بنهج وأُسلوب ومبادئ الطريقة، وهو بمثابة اللسان الناطق عنها للعالم.
- تأسيس (المركز العالميّ للتّصوّف والدِّراسات الرّوحية) وهو مركز أَسَّسَهُ الكسنزان في عام (١٤١٥هـ) (١٩٩٤م)، ويتخصَّصُ هذا المركز في البحث في حالات الشّفاء الفوري الخاصة بخوارق وكرامات الطريقة!!!، والمقارنة بين هذهِ الخوارق من جهةٍ وبين الظواهر الباراسايكولوجية من جهةٍ أُخرى وإثبات فشل الأخيرة أمام خوارق الطريقة، إضافة إلى دراسات أُخرى يتم بحثها في هذا المركز على أيدي باحثين متخصصين.

واقع هذه الطريقة الآن: نشرت صحيفة " نيويورك تايمز " الأمريكية تقريراً حول " الصوفية " في العراق"، وبحسب مارتن فان برونزن، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة أوترخت الهولندية، للصحيفة الأمريكية أن الشيخ الكسنزان في بداية السبعينات والثمانينات قاد ميلشيا ضد القوى الكردية بزعامة جلال الطالباني، ثم أسس مركزاً لنفسه وسط عرب العراق، وعمل سمساراً لمبيعات صدام من النفط ثم أصبح صديقاً لعزت ابراهيم الدوري. لكن علاقته مع صدام ضعفت قبل الغزو، وبعد فقدانه قوته انتقل هذا الشيخ إلى السليمانية في كردستان حيث يعيش تحت حماية الطالباني.

وقال البروفسور الهولندي: إن هذا الشيخ ساعد القوات الأمريكية بغزوها للعراق وأنه قدم معلومات لوكالة المخابرات المركزية ا.هـ [1].

كما أوضح عدد من أهالي مدينة كركوك أن مِن المتصوفة في المدينة أخذوا يهادنون الاحتلال والحكومة المعينة خوفاً من الاعتقال، خاصة شيخ الطريقة الكسنزانية، والذي أعلن من قبل أن الجهاد في العراق ينبغي أن تنطبق عليه عدة شروط قبل إعلانه منها: صفاء القلب وتحقيق الصلة بين العبد وربه. وهو ما أثار حفيظة المقاومة العراقية وأهالي المدينة على حد سواء[1].

وبحسب شبكة البصرة: قام عدد من تلاميذ هذه الطريقة بالتجسس لحساب أمريكا وتحديداً في كشف المواقع العسكرية والاستراتيجية العراقية ومواقع القيادة - قبل الاحتلال - مستخدمين أجهزة الاتصال " ثريا " المجهزة بدعم تحديد الإحداثيات، وقد ألقت السلطات المختصة في وقتها وأثناء الحرب القبض على هؤلاء التلاميذ متلبسين في جرمهم وتم إعدامهم بعد اعترافهم بذلك، حيث اعترفوا بأن الذي دفعهم لذلك هو (نهرو) ابن الشيخ محمد عبد الكريم، شيخ الطريقة المذكورة، وقد أكد لنا عدد من تلاميذ الطريقة أنهم فعلاً قد بلغهم أن عدداً من

الطريقة الكسنزانية

هذه الأجهزة قد وزعت على بعض التلاميذ.

وبحسب جريدة المدى الإلكترونية [1]:

((بين أيدينا وثائق جهاز المخابرات، وثائق تتضمن مخاطبات بين أكبر مسؤولي هذا الجهاز، وتقارير ورسائل ومعلومات أخرى صادرة إلى دوائر الجهاز وواردة إليه حول أفراد من عائلة المتصوفة (الكسنزانية) في مقدمتهم الشيخ محمد عبد الكريم الكسنزاني، وبينهم (نهرو) و(غاندي) و(ملاص) أولاد محمد عبد الكريم وشقيقاه آزر حسين الكسنزاني وابنه د. قلندار حسين تفضح هذه الوثائق الخدمات المشينة التي قدمها هؤلاء لجهاز المخابرات ضد أبناء شعبهم من الكرد والعرب. والغريب أن هذه الوثائق (وقد تأرخت إحداها في ٨/ ٣/ ٢٠٠٣) تشير إلى استمرار العلاقة المخزية بذلك الجهاز حتى لحظاته الأخيرة. لكن الأكثر غرابة في الوثائق ويغلق أي باب لاحتمال أن يكون (السادة) مكرهين على التعامل مع هذا الجهاز، هو إن إحدى الوثائق كانت عبارة عن رسالة كتبها أحد أفرادهم بعد سفره من السليمانية إلى عمان وبحثه عن صديق له، هو ضابط مخابرات عراقي، ويعرض فيها خدماته على الجهاز. ما الذي يضطر هذا (السيد)؟ وما الذي يدفعه إلى هذه الخدمة.. ذلك ما قد يبرره (السادة) المتصوفة أنفسهم، فهم ما زالوا أحياء.

يصف الشيخ محمد عبد الكريم الكسنزاني في لقاء له مع أحد قادة الجهاز - صدام بأنه (قلم الله على الأرض).. هذه البلاغة الصوفية المتأخرة أعجبت الضابط فأبلغ مسؤوليه بها، حين سمعها على لسان الشيخ الصوفي الذي كان يتلقى (شكر السيد مدير الجهاز المحترم بخصوص ولائه وتطوعه) حسب ما تشير الوثيقة الخطية. وكان الشكر، شكر الشيخ، لازماً بعد تنفيذه أوامر رئاسة الجمهورية (بشأن توجيه المدعو محمد عبد الكريم الكسنزاني بما يخدم عمل الجهاز، حيث سافر مؤخراً إلى السليمانية..).

تصف (بطاقة معلومات المتعاون السري) التي فتحت للشيخ بتاريخ (٨/ ١٠/ ٢٠٠٠) مصادر القوة فيه على إنه (عنصر فعال وذو شخصية قوية ومؤثرة في وسطه، ولديه أتباع كثر، وله احترامه الكبير وسط المجتمع الديني). فيما تصف هذه البطاقة نقاط ضعفه بأنه (عنصر مادي ويحاول كسب أكبر عدد ممكن لصالح تكيته الكسنزانية) وتقول بطاقة أخرى له أنه (حصلت موافقة رئاسة الجمهورية السكرتير على مقترح الجهاز بشأن دعمه باتجاه فتح تكايا في السليمانية بما يخدم توجيهات القيادة والجهاز لغرض الحد من نفوذ التشيع الإيراني). قبل هذه البطاقة، وفي (٩/ ٣/ ٢٠٠٠) تحصل موافقة الجهاز على سفره إلى لندن (حيث تم تسهيل سفره عن طريق نقطة فايدة - الوثيقة)، وحين يطلب من الشيخ إلقاء محاضرة في لندن في ذكرى وفاة الشيخ عبد القادر الكيلاني يتصل بمخابرات بغداد، فتمنعه هذه.

> مع أن شيوخ هذه الطريقة أكراد الأصل والمولد والمنشأ واللغة، فقد زعموا لأنفسهم نسباً للنبي صلى الله عليه وسلم

وفي (٢٠٠٢/٢/٢٥) يبلغ الشيخ من قبل مدير الجهاز بعدم الطلب من أتباعه العرب الضباط والمدنيين المتواجدين في الداخل الذهاب إلى السليمانية. فيوافق ويطلب الموافقة على نقل تكيته من السليمانية إلى بستانه في الحد الفاصل بين أربيل والسليمانية (وذلك لتعرضه وجماعته للضغوط من قبل زمرة جلال الطالباني الوثيقة).

أما السيد آزر عبد الكريم الكسنزاني (الأخ غير الشقيق للشيخ، كما تقول الوثائق) فهو الآخر، يقدم تقريراً غريباً. إنه من ألمانيا، وأهل زوجته في سويسرا (لجوء إنساني) يطلبون منه الإقامة معهم، فيرفض، ولا يكتفي بالرفض وإنما يخاطب المخابرات بتقرير مفضوح للنفاق على عمه ويعرض خدماته.

أما السيد (غاندي محمد عبد الكريم) الذي تصفه إحدى الوثائق بأنه (أحد مصادرنا ويتواجد حالياً في السليمانية)، فيقدم طلباً لمدير الجهاز للموافقة على فتح شركة في السليمانية، تحصل الموافقة ويستغلها المدير لإشراك أحد ضباط الجهاز في هذه الشركة ومن طلاب الدورة الكردية، يجيب السيد نهرو برسالة خطية على هذا الطلب، وينتهز فرصة الرسالة لحشوها بأكبر كمية من الخدمات المطلوبة وغير المطلوبة.. وصول وفد من الأزهر إلى أربيل ودهوك.. احتمال طرد وزير الأوقاف في أربيل من منصبه.. وهكذا.

في تقرير مهم آخر يقدم (المتعاون غاندي محمد عبد الكريم الكسنزاني معلومات مع تصوير فيديوي وفوتوغرافي عن معسكر فالباريز التابع لفيلق بدر في السليمانية)).

❖ ❖ ❖

إصـــدارات

موقع الصوفية

التبيان الجلي
لحقيقة الجفري علي

التصوف أفيون الشعوب

كنت قبوريا

عبد المنعم الجداوي

«الخرافة» عجوز متصابية تتعلق بصاحبها...!

«التوحيد» يهدم أولاً.. ثم يبني من جديد..!

ليس سهلاً أن يتراجع ((القبوري))..!

«التوحيد» يحتاج إلى إرادة واعية...!

تردّدت كثيراً في كتابة هذه الاعترافات لأكثر من سبب.. ثم أقدمت على كتابتها لأكثر من سبب، وأسباب الإحجام والإقدام واحدة.. فقد خشيت أن يقرأ العنوان بعض القراء ثم يقولون: ما لنا ولتخريف أحد معظّمي القبور.. ولكن قد يكون بعض القراء في المنطقة النفسية التي كنت أعيشها قبل تصحيح عقيدتي.. فيقرؤون اعترافاتي فيفهمون، ويعبرون من ظلمة الخرافات إلى نور العقيدة - وفي ذلك وحده ما يقويني على الكشف عن ذاتي أمام الناس - ما دام ذلك سوف يكون سبباً في هداية بعضهم إلى حقيقة التوحيد..؟

ولقد كنت من كبار معظّمي القبور، فلا أكاد أزور مدينة بها أي قبر أو ضريح لشيخ عظيم إلا وأهرع فوراً للطواف به... سواء كنت أعرف كراماته أو لا أعرفها.. أحياناً أخترع لهم كرامات... أو أتصورها.. أو أتخيلها.. فإذا نجح ابني هذا العام.. كان ذلك للمبلغ الكبير الذي دفعته في صندوق النذور..وإذا شُفيت زوجتي، كان ذلك للسمنة التي كان عليها الخروف الذي ذبحته للشيخ العظيم فلان ولي الله!..

وحينما التقيت بالدكتور جميل غازي، وكان اللقاء لعمل مجلة إسلامية تقوم بالإعلان والنشر عن جمعية العزيز بالله القاهرية، والتي تضم مساجد أخرى، ورسالتها الأولى ((التوحيد))، وتصحيح العقيدة.

وبحكم اللقاءات المتكررة.. كان لابد من صلاة الجمعة في مسجد العزيز بالله.. وهاجم ((الدكتور جميل)) في بساطة، وبعقلانية شديدة هذا المنحنى المخيف في العقيدة، وسماه: شركاً بالله ؛ وذلك لأن العبد في غفلة من عقله يطلب المدد والعون من مخلوق ميت!!..

أفزعني الهجوم، وأفزعتني الحقيقة.. وما أفزع الحقيقة للغافلين... ولو أن ((الدكتور جميل)) اكتفى بذلك لهان الأمر.. لكنه في كل مرة يخطب لابدّ أن يمس الموضوع بإصرار.. فالضّريح لا يضم سوى عبد ميت فقط.. بل قد يكون أحياناً خالياً حتى من العظام التي لا تنفع ولا تضرّ..!

في أول الأمر اهتززت.. فقدت توازني.. كنت أعود إلى بيتي بعد صلاة كل جمعة حزيناً.. شيء ما يجثم فوق صدري.. يقيد أحاسيسي ومشاعري.. أحاول في مشقة أن أخرج عن هذا الخاطر... هل كنت في ضلالة طوال هذه الأعوام..أم أن صديقي ((الدكتور)) قد بالغ في الأمر.. فأنا أعتقد أن كل من نطق بالشهادة لا يمكن أن يكون كافراً لهفوة من الهفوات أو زلةٍ من الزلات..!

شيء آخر أشعل في فؤادي لهباً يأكل طمأنينتي في بطء... إن الدكتور يضعني في مواجهة صريحة ضد أصحاب الأضرحة الأولياء، والخطباء على المنابر صباح مساء.. يعلنونها صريحة: إن الذي يؤذي ولياً.. فهو في حرب مع الله سبحانه وتعالى، وهناك حديث صحيح في هذا المعنى.. وأنا لا أريد أن أدخل في حرب ضد أصحاب القبور والأضرحة ؛ لأنني أعوذ بالله من أن أدخل في حرب معه - جل جلاله- ...!

ولقد كنت من كبار معظّمي القبور، فلا أكاد أزور مدينة بها أي قبر أو ضريح لشيخ عظيم إلا وأهرع فوراً للطواف به

وقلت: إن أسلم وسيلة للدفاع هي الهجوم.. واستعدت قراءة بعض الصفحات من كتاب ((الغزالي)) ((إحياء علوم الدين))، وصفحات أخرى من كتاب ((لطائف المنن))(لابن عطاء السكندري)، وحفظت عن ظهر قلب الكرامات، وأسماء أصحابها، ومناسبات وقوعها، وذهبت الجمعة الثانية، وكظمت غيظي وأنا أستمع إلى الدكتور، فلما انتهى من الدرس وأصرَّ على أن يدعوني لتناول طعام الغداء، وبعد الغداء.. تسلمته هجوماً بلا هوادة، معتمداً على عاملين:

الأول: هو أنني حفظت كمية لا بأس بها من الكرامات.

والثاني: أنني على ثقة من أنه لن يتهور فيداعبني بكفيه الغليظتين ؛ لأنني في بيته! وتناولت طعامه فأمنت غضبه، وقلت له والآتي هو المعنى، وليس نص الحوار: ((إن الأولياء لا يدرك درجاتهم إلا من كان على درجتهم من الصفاء، والشفافية، وأنهم رجال أخلصوا لله.. فجعل لهم دون الناس ما خصهم به من آيات وأن.... وأن... وأن.. وانتظر الدكتور حتى انتهيت من هجومي.. وأحسست أنه لن يجد ما يقوله.. وإذا به يقول: هل تعتقد أن أي شيخ منهم كان أكرم على الله من رسوله..؟

قلت مذهولاً: لا..

قال: إذاً كيف يمشي بعضهم على الماء... أو يطير في الهواء.. أو يقطف ثمار الجنة وهو على الأرض.. ورسول الله لم يفعل ذلك..؟

كان يمكن أن يكون ذلك كافياً لإقناعي أو لتراجعي.. لكنه التعصب - قاتله الله - !! كَبُرَ عليّ أن أسلّم بهذه البساطة، كيف ألقي ثقافة إسلامية عمرها في حياتي أكثر من ثلاثين عاماً.. قد تكون مغلوطة.. غير أني فهمتها على أنها الحقيقة، ولا حقيقة سواها!!

وعدت أقرأ من جديد في الكتب التي تملأ مكتبتي.. وأعود إلى ((الدكتور))، ويستمر الحوار بيننا إلى ساعة متأخرة من الليل - فقد كنتُ من كبار عشاق الصوفية.. لماذا؟ لأني أحب أشعارهم وأحبّ موسيقاهم، وألحانهم التي هي مزيج من التراث الشعبي، وخليط من ألحان قديمة متنوعة... شرقية، وفارسية، ومملوكية، وطبلة إفريقية أحياناً تدقّ وحدها.. أو ناي مصري حزين ينفرد بالأنين، مع بعض أشعارهم التي تتحدث عن لقاء الحبيب بمحبوبه وقت السَّحر..!

لهذا وللأسباب الأخرى.. أحببت الصوفية.. وكنت أعشقها، وأحفظ عن ظهر قلب

عبد المنعم الجداوي

الكثير من شعر أقطابها..لاسيما ((ابن الفارض))، وكل حجتي التي أبسطها في معارضة ((الدكتور))، أنه وأمثاله من الذين يدعون إلى ((التوحيد)) لا يريدون للدين روحاً، وإنما يجردونه من الخيال، وأنهم لا بد أن يصلوا إلى ما وصل إليه أصحاب الكرامات ؛ لكي يدركوا ما هي الكرامات..! فلن يعرف الموج إلا من شاهد البحر، ولا يعرف العشق إلا من كابد الحب - وهذا أسلوب صوفي - أيضاً - في الاستدلال، ولهم بيت شهير في هذا المعنى!.

وحتى لا يضطرب وجداني، وتتمزق مشاعري... حاولت أن أنقطع عن لقاء ((الدكتور)).. ولكنه لم يتركني.. فوجئت به يدق جرس الباب، ولم أصدق عيني.. كان هو.. قد جاء يسأل عني.. وتكلمنا كالعادة كثيراً وطويلاً.. فلما سألني عن سبب عدم حضوري لصلاة الجمعة معه... قلت له بصراحة: لقد يئست منك!..

قال: ولكني لم أيأس منك.. أنت فيك خير كثير للعقيدة.

قلتُ: إنه يستدرجني على طريقته، ولمحت معه كتاباً من وضعه عن سيرة الإمام ((محمد بن عبد الوهاب))

فقلت له: أعطني هذه النسخة.. هل يمكن ذلك؟

قال: هذه النسخة بالذات ليست لك، وسوف أعدك بواحدة.

وهذه هي طريقته للإثارة دائماً.. لا يعطيني ما أطلب من أول مرة.. فخطفتُ النسخة، ورفضت إعادتها له!..

وبعد منتصف الليل بدأت القراءة.. وشدني الكتاب موضوعاً وأسلوباً.. فلم أنم حتى الصباح!..

كان الكتاب - على حجمه المتواضع - كالإعصار، كالزلزال.. أخذني من نفسي ليضعني على حافة آفاق جديدة.. حكاية الشيخ ((محمد بن عبد الوهاب)) نفسه.. ثم قصة دعوته، وما كابده من معاناة طويلة.. حينما كانت في صدره حنيناً، وكلما قرأت صفحة وجدت قلبي مع السطور. فإذا أغلقت الكتاب لأمر من الأمور يتطلب التفكير أو البحث في كتب أخرى.. استشعرت الذنب؛ لأنني تركت الشيخ في ((البصرة)) ولم أصبر حتى يعود.. أو تركته في بغداد يستعد للسفر إلى (كردستان).. ولا بد أن أصبر معه حتى يعود من غربته إلى بلده!..

يقول الدكتور في كتابه ((مجدد القرن الثاني عشر الهجري شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب)): وبعد هذا التطواف والتجوال هل وجد ضالته المنشودة..؟ لا، فإن العالم الإسلامي كله كان يعاني نوبات قاسية من الجهل والانحطاط والتأخر.. عاد الرجل إلى بلده يحمل بين جوانحه ألماً ممضّاً، لما أصاب المسلمين من انتكاس وتقهقر في كل مناحي حياتهم.

عاد إلى بلده وفي ذهنه فكرة تساوره بالليل والنهار.

لماذا لا يدعو الناس إلى الله؟

لماذا لا يذكرهم بهدي رسول الله؟

لماذا... لماذا...

إذًا، فهذه العقيدة التي يريدها ((الدكتور)) لم تأت من فراغ... فمنذ القرن الثاني عشر الهجري... والإمام محمد بن عبد الوهاب... يُفكر، ويقدّم ؛ لكي يهدم صروح الأضرحة، ويحطّم شبح الخرافات، ويُطارد المشعوذين الذين لطخوا وجه الشريعة السمحاء...بخزعبلاتهم التي اكتسبت مع الأيام قداسة، تخلع قلوب المؤمنين... إذا فكروا في إزالتها وفي ذلك

> هل كنت في ضلالة طوال هذه الأعوام..أم أن صديقي الدكتور قد بالغ في الأمر..

يقول الكاتب: ((ماذا كان وقْع هذه الأعمال على نفوس القوم..)).

ويجيب المؤرخون على ما يرويه الأستاذ أحمد حسين في كتابه ((مشاهداتي في جزيرة العرب)): ((إن القوم لم يقبلوا مشاركة الرجل فيما قام به من قطع الأشجار، وهدم القباب، بل تركوا له وحده أن يقوم بهذا العمل، حتى إذا ما كان هناك شر أصابه وحده..!)).

هل يكون ما يزلزل كياني الآن هو الخوف الذي ورثته..؟ وهو نفس الذي جعل الناس في بلدة (العُيَيْنة): موطن الشيخ، يتركونه يزيل الأشجار، وقبة قبر (زيد بن الخطاب) بنفسه.. خوفاً من أن تصيبهم اللعنات المختلفة من كرامات هذه الأماكن وأصحابها.

ومضيت أقرأ، ومع كل صفحة أشعر أنني أخلع من جدار الوهم في أعماقي حجراً ضخماً.. وحينما بلغت منتصف الكتاب كانت فجوة كبيرة داخلي قد انفتحت، وتسلل منها ومعها نور اليقين.. ولكن في زحمة الظلمة التي كانت تعشعش في داخلي.. كان الشعاع يُومض لحظة ويختفي لحظات..!

لقد استطاع ((الدكتور)) أن ينتصر... تركني أحارب نفسي بنفسي، بل جعلني أتابع مسيرة التوحيد مع شيخها محمد بن عبد الوهاب، وأشفق عليه من المؤامرات التي تحاك ضده، وحوله، وكيف أنه حينما أقام الحد على المرأة التي زنت في (العيينة)..غضب حاكم ((الإحساء)) (سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحميدي)، واستشعر الخطر من الدعوة الجديدة وصاحبها... فكتب إلى حاكم العيينة ((ابن معمر)) يأمره بكتم أنفاسها، وقتل المنادي بها، والعودة فوراً إلى حظيرة الخرافات والخزعبلات.

ولما كان ((ابن معمر)) قد ارتبط مع الشيخ في مصاهرة... فقد زوجه ابنته... فإنه تردد في قتله، ولكنه دعاه إلى اجتماع مغلق، وقرأ عليه رسالة حاكم ((الإحساء)) ثم رسم اليأس كله على ملامحه، وقال له: إنه لا يستطيع أن يعصي أمراً لحاكم ((الإحساء))، لأنه لا قِبَل له به.... ولعلها لحظة يأس كشفت للشيخ عن عدم إيمان ((ابن معمر))... ولم تزد الشيخ إلا إصراراً على عقيدته، وقوة توحيده.. فالحكام الطغاة لا يحاربون دائماً إلا داعية الحق.. وقبل الشيخ في غير عتاب أن يغادر (العيينة)..مهاجراً في سبيل الله بتوحيده.. باحثاً عن أرض جديدة يزرعه فيها!..

في الصباح استيقظتُ على ضجة في البيت غير عادية.. واعتدلت في فراشي، ووصَلَتْ إلى أذني أصوات ليست آدمية خالصة، ولا حيوانية خالصة.. ثغاء، وصياح، وكلام..غير مفهوم العبارات.. وقلت: لا بد أنني أعاني من بقية حلم ثقيل.. فتأكدت من يقظتي، ولكن ((الثغاء)) هذه المرة اخترق طبلة أذني.. ودخلت عليّ زوجتي تحمل إليَّ أنباء سارة جدًا... وهي تتلخص في أن ابنة خالتي - التي تعيش في أقصى الصعيد، ومعها زوجها، وابنها البالغ من العمر ثلاث سنوات - قد وصلوا في قطار الصعيد فجراً، ومعهم ((الخروف))...!

وظننت أن زوجتي تداعبني.. أو أن ابنة خالتي - وكنت أعرف أن أولادها يموتون في السنوات الأولى - ، قد أطلقت على طفل لها اسم (خروف) لكي يعيش مثلاً. وهي عادات معروفة في الصعيد. وقبل أن أتبين المسألة.. أحسست بمظاهرة من أولادي تقترب من باب حجرة نومي.. وفجأة وبدون استئذان اقتحم الباب ((خروف)) له فروة، وقرون، وأربعة أقدام... واندفع في جنون من مطاردة الأولاد له.. فحطّم ما اعترض طريقه.. ثم اتجه إلى المرآة، وفي قفزة

عبد المنعم الجداوي

((عنترية)) اعتدى على المرآة بنطحة قوية، تداعت بعدها، وأحدثت أصواتاً عجيبة، وهي تتحطم!..

تَمَّ كل ذلك في لحظة سريعة.. وقبل أن أسترد أنفاسي، وخيل إليّ أن بيتنا انفتح على حديقة الحيوانات.. رغم أنني أسكن في العباسية، والحديقة في الجيزة.. ولكن وجدت نفسي أقفز من على السرير، وخشيت زوجتي ثورة ((الخروف))، وتضاءلت فانزوت في ركن.. ترمقني بعينيها، وتشجعني لكي أتصدى لهذا الحيوان المجنون.. الذي اقتحم علينا خلوتنا.. ولكن الصوت والزجاج المتناثر زاد من صياح الحيوان.. ولمحت في عينيه، وفي قرنيه الموت الزؤام.. واستعدت في ذهني كل حركات مصارعي الثيران، وأمسكت بملاءة السرير، وقبل أن أجرب رشاقتي في الصراع مع ((الخروف)) دخلت ابنة خالتي وهي في حالة انزعاج كامل.. فقد خيل لها أنني سوف أقتله... وصاحت - وهي على يقين من أنني سأصرع: حاسب، هذا خروف ((السيد البدوي)).

ونادته فتقدّم إليها في دلال، وكأنه الطفل المدلّل.. فأمسكت به تُربتُ على رأسه، وروت لي أنها قدمتْ من الصعيد، ومعها هذا الخروف البكر الرشيق الذي أنفقت في تربيته ثلاثة أعوام هي عمر ابنها؛ لأنها نذرت للسيد البدوي إذا عاش ابنها.. أن تذبح على أعتابه ((خروفاً))، وبعد غد يبدأ العام الثالث موعد النذر!..

كانت تقول كل هذه العبارات وهي سعيدة.. وخرجت إلى الصالة لأجد زوجها، وهو في ابتهاج عظيم.. يطلب مني أن أرافقهم إلى ((طنطا)).. لكي أرى هذا المهرجان العظيم؛ لأنهم نظراً لبعد المسافة اكتفوا بالخروف.. فأما الذي على مقربة من ((السيد البدوي)) فإنهم يبعثون بجِمال.. وأصبح عليّ أن أجامل ابنة خالتي لكي يعيش ابنها، وإلا اعتُبرت قاطعاً للرحم... لا يهمني أن يعيش ابن خالتي أو يموت، ولا بد أن أذهب معهم إلى مهرجان الشرك، وفي نفس الوقت كنت أسأل نفسي: كيف أقنعها بأنها في طريقها إلى الكفر؟ وماذا سيحدث حينما أحطم لها الحلم الجميل الذي تعيش فيه منذ ثلاث سنوات؟

وقلت: أبدأ بزوجها أولاً؛ لأن الرجال قوامون على النساء.. وأخذت الزوج إلى زاوية في البيت، وتعمدت أن يرى في يدي كتاب: ((الإمام محمد بن عبد الوهاب))..

ومدّ يده فجعل الغلاف في ناحيته، وما كاد يقرأ العنوان حتى قفز كأنه أمسك بجمرة نار!..

قرأ زوج ابنة خالتي عنوان الكتاب - الذي يقول: إن في الصفحات قصة ((الشيخ محمد بن عبد الوهاب)) ودعوته - وهتف صارخاً: ما هذا الذي أقرؤه...؟ وكيف وصلني هذا الكتاب..؟ لا بد أن أحدهم دسه عليَّ!!.. فهو يعرف أنني رجل متزن... أحرص على ديني، وعلى زيارة الأضرحة، وتقديم الشموع، والنذور، وأحياناً القرابين المذبوحة والحية، كما يفعل هو تماماً.. ورأيت في عينيه نظرة رثاء... إلى ما رماني به القدر في تلك النسخة... وكان عليَّ أن أقف منه موقف الدكتور جميل غازي مني سابقاً.. وشاء الله أن يكون ذلك بمثابة الامتحان لي.. وهل في استطاعتي أن أطبق ما قرأت أم لا..؟ وهل استوعبت عن يقين ما قرأت أم لا..؟ والأهم من ذلك هو مدى إصراري على عقيدتي وإقناع الآخرين بها - أيضاً - ، فالذي لا يؤثر في المحيط الذي يعيش فيه.. هو صاحب عقيدة سلبية... غير إيجابية.. فليس من المعقول في شيء.. أن أطوي ((توحيدي)) على نفسي، وأترك الآخرين يعيشون في ضلالة؛ لأنهم بعد فترة

> تسلل نور اليقين.. ولكن في زحمة الظلمة التي كانت تعشعش في داخلي.. كان الشعاع يومض لحظة ويختفي لحظات..!

سوف يغرقونني في خرافاتهم.. وعليه فلا بد أن أجادلهم بالتي هي أحسن.. لا أتركهم يشعرون أن الأمر هينٌ.. لا بد أن أنفرهم من شركهم.. وهم لا بد أن يتراجعوا ؛ لأن ((الخرافة)) - نظراً لأنها تقوم على ضلالات هشة - لا يكاد الشك يدخلها حتى يهدمها.. والحق في تعقبها إذا كان لحوحاً.. قضى عليها... أو على أقل تقدير أوقف نموها حتى لا تصيب الآخرين.. ومن أجل ذلك كله قررت أن أتوكل على الله، وأبدأ الشرح للرجل... ولم تكن المهمة سهلة.. فلا بد أولاً أن أطمئنه، وأزيل ما بينه وبين سيرة الشيخ ((محمد بن عبد الوهاب)).. ثم ما ترسّب في ذهنه من زمن عن (الوهابية والوهابيين).. ففي أول الحديث.. اتهم ((الوهاب)) بعدد من الاتهامات يعلم الله أن دعوة ((التوحيد)) بريئة منها.... براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام!..

ورحت أحاول في حماس شديد.. أشرح له سر حملات الكراهية، والبغضاء التي يشنها البعض على دعوة ((التوحيد))..

وكيف أنها أحيت شعائر الشريعة، وأصول العبادات، وفي ذلك القضاء على محترفي الدّجل، وحراس المقابر، وسدنة الأضرحة، والذين يُكدّسون الأموال عاماً بعد عام.. من بيع البركات، وتوزيع الحسنات على طلاب المقاعد في الجنة.. فالمقاعد محدودة والوقت قد أزف..! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..!

ولمحت على ملامحه بعض سمات الخير.. نظر في دهشة.. كأنه يفيق من غيبوبة... ورغم ذلك فقد راح يتشنج، ويدافع عن أهل الله الذين ينامون في قبورهم لكن يتحكمون بأرواحهم في بقية الكون، وأنهم يدعون كل ليلة جمعة للاجتماع عند قطب من الأقطاب... وحتى النساء من الشهيرات يلتقين - أيضاً - مع الرجال الأقطاب، وينظرون في شؤون الكون...!

ولم أكن أطمع في زحزحته عن معتقدات في ضميره عمرها أكثر من ثلاثين سنة... فاكتفيت بأن طلبت منه أن ينظر في الأمر.. هل هؤلاء الموتى من أصحاب الأضرحة... أكرم عند الله أم رسول الله؟!! ثم يفكر طويلاً، ويجيء إليَّ بالنتيجة... دون ما تحيّز أو تعصّب.. ووعدني بأن يُفكّر، ولكنه فقط يطلب مني أن أرافقهم في رحلتهم الميمونة إلى ((طنطا))... فقلت له: إن هذا هو المستحيل لن يحدث.. وإذا كان مصمماً على الذهاب هو وزوجته إلى ((السيد البدوي)) حتى يعيش ابنهما.. فالمعنى الوحيد لذلك هو أن الأعمار بيد ((السيد البدوي))..

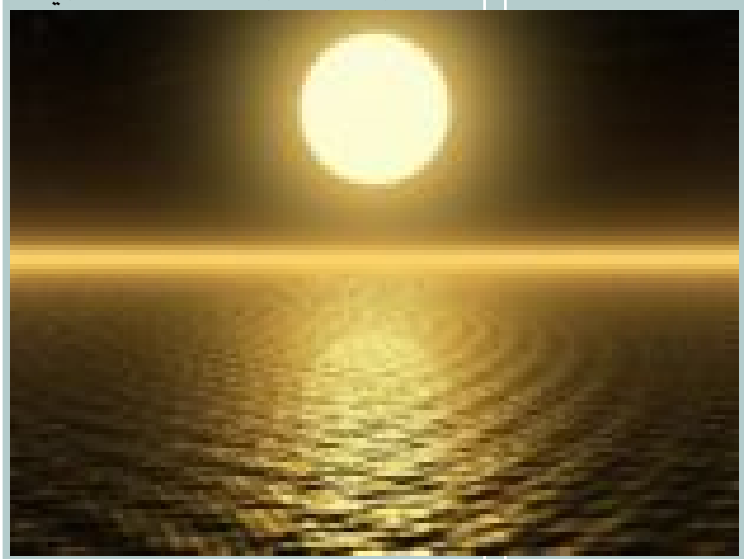

عبد المنعم الجداوي

حملق فيَّ وصاح: لا تكفر يا رجل..؟

فقلت له: أينا يكفر الآن..؟ أنا الذي أطلب منك أن تتوجه إلى الله..؟ أم أنت الذي تُصرّ على أن تتوجه إلى ((السيد البدوي))..؟

وسكت واعتبر هذا مني إهانة لضيافته، وأخذ زوجته والخروف وابنها، وانصرفوا من العباسية في القاهرة إلى ((طنطا))، وحيثما وقفت أودعهم.. همست في أذن الزوج: أنه إذا تفضل بعدم المرور علينا بعد العودة من مهرجان الشرك.. فإنني أكون شاكراً له ما يفعل... وإلا لقي مني ما يضايقه.. وازداد ذهول الرجل، ومضى الركب الغريب.. يسوق الخروف نحو ((طنطا))..!

وانثنت زوجتي تلومني ؛ لأنني كنت قاسياً معهم، وهم الذين يخافون على طفلهم.... الذي عاش لهم بعد أن تقدم بهما العمر، ومات لهما من الأطفال الكثير.. وصحت في زوجتي: إن الطفل سيعيش فذلك لأن الله يريد له أن يعيش، وإن كان سيموت فذلك لأن الله يُريد له ذلك.. ولا شريك لله في أوامره ولا شريك له في إرادته.

وذهبت إلى إدارة الجريدة التي أعمل بها.. وإذا بالدكتور يتصل بي تليفونياً ؛ ليتحدث معي في شأن له، ولم يخطر بباله أن يسألني: ماذا فعل بي الكتاب؟ أو ماذا فعلت به؟ واضطررت أن أقول له: إنني في حاجة إلى مناقشة بعض ما جاء في الكتاب معه... والتقينا في الليل وحدثته عن الكارثة التي جاءتني من الصعيد، ولم يعلق على محاولتي إقناعهم بالعدول عن شركهم.. مع أنني منذ أيام فقط.. كنت لا أقل شركاً عنهم، وقلت له: ألا يلفت نظرك أنني أقول لهم ما كنت تقوله لي..؟

قال في هدوء يغيظ: إنه كان على يقين من أنني سوف أكون شيئاً مفيداً للدعوة.. وأردت الاحتجاج على أنني من (الأشياء) ولست من الآدميين، لكن الدكتور لم يتوقف، وقال: لقد صدر منك كل هذا بعد قراءة نصف الكتاب، فكيف بك إذا قرأت الكتب الأخرى؟! وأغرق في الضحك!!.

وعلمت بعد أيام أن قريبتي عادت من ((طنطا)) إلى الصعيد مباشرة دون المرور علينا في القاهرة، وأنها غاضبة مني، وشكتني لكل شيوخ الأسرة، وفي الأسبوع الثاني فوجئت بجرس الباب يدقّ.. وذهب ابني الصغير ؛ ليستطلع الأمر.. ثم عاد يقول لي: إبراهيم الحران...

((الحران)).. إنه زوج ابنة خالتي.. ماذا حدث..؟

هل جاءوا بخروف جديد، ونذر جديد لضريح جديد... أم ماذا..؟

وقررت أن يخرج غضبي من الصمت إلى العدوان هذه المرة، ولو بالضرب.. ومشيت في ثورة إلى الباب.. وإذا بهذا ((الحران)) يمد يده ليصافحني، ودَعَوْته إلى الدخول فرفض.. إذًا لماذا جاء..؟ وفيم جاء؟ لقد ابتسم ابتسامة مغتصبة وهو يقول: إنه يطلب كتاب ((الشيخ محمد بن عبد الوهاب)) الذي عندي، وحملقت فيه طويلاً، وجلست على أقرب مقعد..!

سقطت قلعة من قلاع الجاهلية.. لكن لماذا؟ وكيف كان السقوط؟ جاء صاحبي إبراهيم يسعى بقدميه.. يطلب ويلحّ في أن يبدأ مسيرة التوحيد.. لا بد أن وراء عودته أمراً، ليس من المعقول أن يحدث ذلك بلا أسباب قوية جعلت أعماقه تتفتح وتفيق على حقائق غفل عنها طويلاً..!

ورحمة بي من الذُّهول، والإغماء الذي أوشك أن يصيبني.. بدأ يتكلم، وكانت الجملة التي سقطت من فمه ثقيلة كالحجر الذي يهبط من قمة جبل.. صكت سمعي..

> ترتفع الخرافة إلى الذروة... حينما يعمد المتخصصون فيها إلى تقسيم تخصصات المشايخ والأضرحة...!

ثم ألقت بنفسها تتفجر على الأرض.. تصيب وتدمي شظاياها، وقال: لقد مات ابني عقب عودتنا...! إنا لله وإنا إليه راجعون.. هذا هو الولد الرابع الذي يموت لإبراهيم تباعاً، وكلما بلغ الطفل العام الثالث.. لحق بسابقه.. وبدلاً من أن يذهب إلى الأطباء ليعالج مع زوجته، بعد التحليلات اللازمة.. فقد يكون مبعث ذلك مرض في دم الأب أو الأم.. اقتنع، وقنع بأن ينذر مع زوجته مرة للشيخ هذا، ومرة للضريح ذاك، وأخرى لمغارة في جبل بني سويف.. إذا عاش طفله، ولكن ذلك كله لم ينفعه.. ورغم الجهل والظلم الذي يظلمه لنفسه.. إلا أنني حزنت من أجله.. تألمت حقيقة.. أخذته من يده.. أدخلته.. جلست أستمع إلى التفاصيل..!

لقد عاد من طنطا مع زوجته إلى بلدهما، وحملا معهما بعض أجزاء من ((الخروف)) الذي كان قد ذبح على أعتاب ضريح ((السيد البدوي)).. فقد كانت تعاليم الجهالة تقضي بأن يعودا ببعضه.. التماساً لتوزيع البركة على بقية المحبين - وأيضاً - لكي يأكلوا من هذه الأجزاء التي لم تتوافر لها إجراءات الحفظ الصالحة ففسدت.. وأصابت كل من أكل منها بنزلة معوية.. وقد تصدَّى لها الكبار وصمدوا.. أما الطفل فمرض، وانتظرت الأم - بجهلها - أن يتدخل ((السيد البدوي)).. لكن حالة الطفل ساءت.. وفي آخر الأمر ذهبت به للطبيب الذي أذهله أن تترك الأم ابنها يتعذب طوال هذه الأيام... فقد استغرق مرضه أربعة أيام... وهزَّ الطبيب رأسه، ولكنه لم ييأس.. وكتب العلاج.. ((أدوية)) وحقن، ولكن الطفل اشتد عليه المرض، ولم يقو جسمه على المقاومة.. فمات!

من موت الطفل بدأت المشاكل.. كانت الصدمة على الأم أكبر من أن تتحملها.. ففقدت وعيها.. أصابتها لوثة.. جعلتها تمسك بأي شيء تلقاه، وتحمله على كتفها وتهدهده وتداعبه على أنه ابنها.. أما الأب فقد انطوى يفكر في جدية، بعد أن جعلته الصدمة يبصر أن الأمر كله لله.. لا شريك له.. وأن ذهابه عاماً بعد عام.. إلى الأضرحة والقبور.. لم يزده إلا خسارة.. واعترف لي: بأن الحوار الذي دار بيني وبينه.. كان يطنّ في أذنيه.. عقب الكارثة، ثم صمت..! فقلت له بعض الكلام الذي يُخفّف عنه، والذي يجب أن يُقال في مثل هذه المناسبات.. ولكن بقي في نفسه شيء من حديثه. فهو لم يكمل.. ماذا حدث للسيدة المنكوبة، وهل شفيت من لوثتها أم لا؟

فقلت له: لعل الله قد شفي الأم من لوثتها؟!

فأجاب - وهو مطأطئ الرأس - : إن أهلها يصرون على الطواف بها على بعض الأضرحة والكنائس - أيضاً - ويرفضون عرضها على أي طبيب من أطباء الأمراض النفسية والعصبية.. ليس ذلك فحسب.. بل ذهبوا بها إلى ((سيدة)) لها صحبة مع الجن فكتبت لها على طبق أبيض.. وهكذا تزداد العلة عليها في كل يوم وتتفاقم.. وكل ما يفعله الدجالون يذهب مع النقود المدفوعة إلى الفناء..!

وحينما أراد أن يحسم الأمر.. وأصرّ على أن تُعْرض على طبيب.. أو يطلقها لهم ؛ لأنهم سبب إفسادها.. برزت أمها تتحداه، وركبت رأسها فاضطر إلى طلاقها وهو كاره...!

أثارتني قصته، رغم حرصي على النسخة التي حصلت عليها من ((الدكتور جميل)) إلا أنني أتيته بها وناولتها له.. فأمسك بها وقلبها بين يديه.. وعلى غلافها الأخير كان مكتوباً كلام راح يقرؤه بصوت عال.. كأنه يسمع نفسه قبل أن يسمعني ((نواقض الإسلام)) من كلمات شيخ الإسلام ((محمد بن عبد الوهاب)): ((مَنْ

عبد المنعم الجداوي

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ))[المائدة:٧٢]^، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

ورفع رأسه فحملق في وجهي.. ثم أخذ الكتاب، وانصرف واشترط أن يعيده لي بعد أيام، وأن أحضر له من الكتب ما يعينه على المضي في طريق ((التوحيد)).

انصرف إبراهيم، والمأساة التي وقعت له تتسرب إلى كياني قطرة بعد قطرة.. فهي ليست مأساة فرد، ولا جماعة، وإنما هي مأساة بعض المسلمين في كثير من الأمصار.. الخرافة أحب إليهم من الحقيقة، والضلالة أقرب إلى أفئدتهم من الهداية، والابتداع يجتذبهم بعيداً عن السنة..!

حاولت الاتصال تليفونياً بـ ((الدكتور جميل)).. فقد كنت أريد أن أنهي إليه أخبار (إبراهيم) ولكني لم أجده فبدأت العمل في كتابات لمجلة شهرية تصدر في قطر.. اعتادت أن تنشر لي أبحاثاً عن الجريمة في الأدب العربي، وصففت أمامي المراجع، وبدأت مستعيناً بالله على الكتابة، وإذا بالتليفون يدق.. كان المتكلم مصدراً رسمياً في وزارة الداخلية - يدعوني بحكم مهنتي كصحفي متخصص في الجريمة - لحضور تحقيق في قضية مصرع أحد عمال البلاط، وكان قد عثر على جثته في جُوال منذ يومين..!!

تركت كل ما كان يشغلني إلى مكان التحقيق.. والغريب في الأمر.. أن يكون الأساس الذي قامت عليه هذه الجريمة هو السقوط أيضاً في هاوية الشرك والدجل والشعوذة.. بشكل يدعو إلى الإشفاق.. فالقتيل كان يدّعي صحبة الجن، والقدرة على التوفيق بين الزوجين المتنافرين، وشفاء بعض الأمراض وقضاء الحاجات المستعصية... إلى جانب عمله في مهنة البلاط..!

أمّا المتهم القاتل.. فكان من أبناء الصعيد.. تجاوز الخمسين من عمره، وكان متزوجاً من امرأة لم تنجب.. فطلقها وتزوج بأخرى في السابعة عشرة من عمرها لكنها هي الأخرى لم تنجب... وبلغه من تحرياته أن مطلقته قامت بعمل سحر له - نكاية فيه - يمنعه من الإنجاب مع زوجته الجديدة. فاتصل بذلك الرجل الذي كان شاباً لم يتجاوز الأربعين.. واتفق معه على أن يقوم له بعمل مضاد.. وتلقف الدجّال فرصة مواتية... وذهب معه إلى البيت.. وكتب له الدجال بعد أن تناول العشاء الدّسم.. بعض مستلزمات حضور الجن من بخور وشموع وعطور، وذهب الرجل ليشتريها.. وترك (الدجّال) وزوجته الحسناء في البيت..!

خرج الرجل مسرعاً يشتري البخور الذي سيحرق تمهيدًا لاستحضار الجن.. وترك الدجّال الشاب مع الزوجة الحسناء..وكان لا بد أن يحدث ما يقع في مثل هذه المواقف.. فقد حاول المشعوذ أن يعتدي على الزوجة؛ إذ راودها في عنف ليفتك بشرفها، وهي العفيفة الشريفة.. فقامت لتغادر البيت إلى جارة لها.. حتى يصل زوجها.. وإذا بها تجد زوجها على الباب.. فقد نسي أن يأخذ حافظة نقوده وروت له في غضب ما وقع من الدجّال، وانفعل الزوج الصعيدي، وحمل عصاة غليظة ودخل على الدجال في الغرفة، وانهال عليه بالعصا.. حتى حطم رأسه.. بعدها وجد نفسه أمام جثة لا بد أن يتخلص منها.. فجلس يفكر!

> حينما يصبح التوحيد أسلوب حياة، وثقافة، وعقيدة... سوف تختفي من أفقنا وإلى الأبد.. هذه الغيوم.. غيوم الخرافات، والدجل، والشعوذة، والكهانة التي لا تقوى.

خرج ليلاً فاشترى جُوالاً، وعاد فوضع الجثّة فيه، وانتظر حتى انتصف الليل.. ثم حمل الجثة على كتفه، وألقى بها في خلاء على مقربة من الحي الذي يسكنون فيه.. وعاد إلى غرفته يحاول طمس الآثار ومحوها.. وظن أنه تخلص من الدجال الشاب إلى الأبد!

ولكن رجال الشرطة.. بعد عثورهم على الجثة.. بدأوا أبحاثهم عن الجُوال الذي يحتوي على الجثة.. وما كادوا يعرضونه على البقالين في المنطقة، حتى قال لهم أحدهم: إن الذي اشتراه منه هو فلان، وكان ذلك بالأمس فقط، وألقت الشرطة القبض على الرجل، وفتشت غرفته فوجدت الآثار الدالة على ارتكاب الجريمة.. وضُيِّقَ عليه الخناق فاعترف بتفاصيل الجريمة!

لم يكن حضوري هذا التحقيق صدفة، فكل شيء يجري في ملكوت الله بقدر..إذ يسوق لي هذه الجريمة المتعلقة - أيضاً - بفساد العقيدة.. لتجعلني أناقش مع الآخرين.. قضية العقيدة والخرافة من

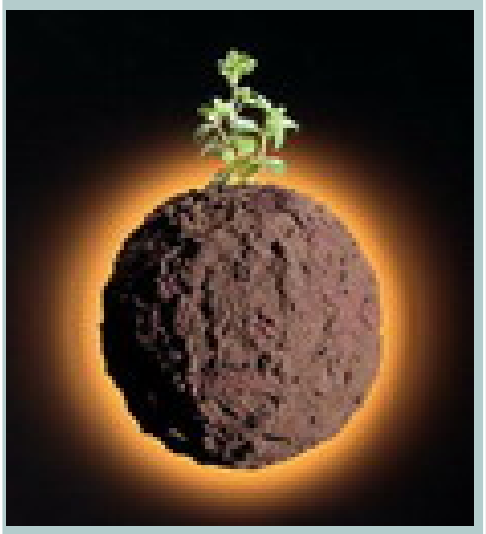

بذورها الأولى.. ولماذا تروج الخرافة، وتتغلغل في كيانات البشر دون وازع؟ هل لأن الذين يتاجرون بها أوسع ذكاء من الضحايا؟

وماذا يجعل الضحايا - وهم ملايين - يندفعون إلى ممارستها، والإيمان بها، والتعصب لها...؟ أم أن ((الوثنية)) التي هي الإيمان بالمحسوس والملموس.. التي ترسبت في أذهان العالمين سنين طويلة تفرض نفسها على الناس من جديد. تساندها الظروف النفسية لبعض البشر.. الذين يعجزون عن الوصول إلى تفسير لها!!

فالقاتل والقتيل في هذه الجريمة... كلاهما فاسد العقيدة.. لا يعرفان من الإسلام سوى اسمه.. فالقتيل مشعوذ يمشي بين عباد الله بالسوء، ويكذب عليهم، ويدّعي أنه على صلة بالجن، وأنه يُشْفي ويُسْعد، ويشفي ويمرض بمعاونة الجن، وفي ذلك شرك مضاعف مع الإضرار بالناس.. أما القاتل فهو من فرط جهالته يعتقد أن إنساناً مثله في وسعه أن يجعله ينجب ولدًا أو بنتاً! وقد يكون عذره أنه في لهفته على الإنجاب ألغى عقله... غير أنه لو أن له عقيدة سليمة.. تُرسِّخُ في ذهنه أنَّ الله بلا شركاء، وأن النفع والضر بيد الله فقط، وتُؤصِّل هذه المفاهيم في أعماقه.. ما كان يمكنه أن يستسلم للدجال.. ولا استطاعت عقيدته أن تحميه من السقوط في أيدي مثل هذا المشعوذ!!

وفي كثير من الأحيان يصل الأمر ببعض المتعصبين إلى أن يجعل من نفسه داعية للخرافة.. يروج لها، ويدافع عنها، وعلى استعداد للقتال في سبيلها.. فقد نجد من ينبري في المجالس.. فيروي كيف أن الشيخ الفلاني أنقذه هذه الأيام من ورطة كانت

عبد المنعم الجداوي

تحيق به، وأنه كان لن يحصل على الترقية هذا العام لولا أن الشيخ الفلاني صنع له تحويطة، وأنه كان على خلاف مع زوجته وضَعَهُما على حافة الطلاق لولا أن الشيخ الفلاني كتب له ورقة وضعها تحت إبطه.. إلخ.

وتحضرني في هذا المجال قصة سيدة تخرجت من جامعة القاهرة، ودرست حتى حصلت على الدكتوراه في علوم الزراعة، وتشغل الآن وظيفة مديرة مكتب وزير زراعة إحدى الدول العربية، هذه السيدة حاملة الدكتوراه... عثر زوجها ذات يوم على حجاب تحت وسادته، فسأل زوجته.. فقالت: إنها دفعت فيه ما لا يقل عن خمسين جنيهاً ؛ لكي تستميل قلبه ؛ لأنها تشعر بجفوته في الأيام الأخيرة.. وكانت النتيجة أن زوجها طلقها طبعاً.. وراوي قصتها هو محاميها نفسه الذي تولى دعواها التي أقامتها ضد زوجها...!

وترتفع الخرافة إلى الذروة... حينما يعمد المتخصصون فيها إلى تقسيم تخصصات المشايخ والأضرحة... فضريح السيدة فلانة يزار لزواج العوانس، والشيخ فلان يزار ضريحه في مسائل الرزق، والقادرة الشاطرة صاحبة الضريح الفلاني يحج إليها في مشاكل الحب، والهجر، والفراق، والطلاق، وأخرى في أمراض الأطفال، والعيون، وعسر الهضم.. وهكذا... مؤامرة محكمة الحلقات.. تلف خيوطها حول السذَّج والمساكين، وكأنهم لم يقرأوا في القرآن: ((وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[الأنعام:١٧]، وكأنهم لم يسمعوا بالحديث الشريف: ((من تَعَلَّق تميمة فقد أشرك)).

إن الانصياع إلى الخرافات ليس وقفاً على عامة الناس أو جهلتهم، بل من المؤسف أنها تتمتع بسلطان كبير بين المتعلمين، والذين درسوا في أرقى الجامعات.

إذاً فالأصل فيها هو أنها تتسلل إلى ضمائر الناس، الذين لا تحميهم عقيدة سليمة.. تصد عنهم هذه (الشركيات) الشرسة الضارية.. فالذي لا شك فيه، هو أن الرجل الذي وثّق إيمانه بالله واقتنع بأن الله هو مالك كل شيء، ورب كل شيء لا شريك ولا وسيط له.. هذا الرجل سوف يعيش في مناعة إيمانه.. متحصناً بعقيدته.. لا تصل إليه المفاسد، بل وتتكسر على صخرة إيمانه كل هذه الخزعبلات.. لماذا؟ لأنه أنهى أمره إلى الله، ولم تعد المسألة في حسابه قابلة للمناقشة!

فالإيمان بالله، واعتناق العقيدة السليمة شيء ليس بالضرورة في الكتب أو في الجامعات.. إنه أبسط من ذلك.. فالله سبحانه وتعالى جعله في متناول الجميع حتى لا يحرم منه فقير لفقره... أو يستأثر به غني لغناه..!

وبينما أنا منهمك أكتب هذه الحلقة إذ بضجيج تصحبه دقات عنيفة لطبل يمزق سكون الليل ويبدده. وراح هذا الضجيج يعلو، ويعربد في ليل الحي.. دون أن يتوقف إلا لحظات.. يتغير فيها الإيقاع ثم يعود ضارباً.. متوحشاً.. يهز الجدران.. وعرفت بخبرتي من الألحان، والأصوات المنفردة التي تصاحبها أن إحدى المترفات من الجيران تقيم حفلة ((زار)).. وأنها لا بد أن تكون قد دعت كل صديقاتها المصابات مثلها بمس من الجنّ... لكي يشهدن حفلها ؛ إذ لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تقيم فيها مثل هذه الحفلة، فهي تقوم بعملها هذا مرة كل ستة شهور.. حرصاً على إرضاء الجن الذي يسكن جسدها...!

وعبثاً حاولت الوصول إلى وسيلة للهرب من تلك الكارثة التي تقتحم علي أذني.. فتركت الكتابة، وحاولت أن أقرأ.. وفي خضم المعاناة.. جاء لي صديق لي من كبار علماء الأزهر، ومن الذين يعملون في وزارة الأوقاف وشئون الأزهر، ليزورني واستقبلته فرحاً ؛ لأنني أحب النِّقاش معه، ولأنه سوف يخلصني من عذاب الاستماع إلى الدقات الهمجية.

وشكوت إليه جارتي، ودخلنا في المناقشة عن ((الجن)) وشكوى الناس منه، وادّعاء السيدات أنه يركبهن، والجيش الجرار من النساء، والرجال الذين يحترفون عمل حفلات ((الزار)). وإذا بالرجل الذي يحمل شهادة أزهرية عليا.. يؤكد لي أنه كانت له شقيقة مسَّها الجن عقب معركة نشبت بينها وبين زوجها فعطّل ((الجن)) ذراعها الأيمن عن العمل بضعة أيام.. ولم يتركها الجن إلا بعد أن أقاموا لها حفلة ((الزار))، عقدت الشيخة بينها وبين (الجن) معاهدة تعايش سلمي.. وترك ذراعها على أن تقيم هذا الحفل مرة كل عام.

كان هذا كلام الرجل العالم... طال صمتي.. فقد كنت أفكر في المسكين إبراهيم الحران، وزوجته الأمية... فلا عتاب عليهما ولا لوم.. ما دام هذا هو رأي مثل هذا الرجل في ((الزار)).. وكانت الدقات العنيفة لا تزال تصل إلى آذاننا، والصمت المسكين يتلاشى أمام الأصوات المسعورة التي تصرخ في جنون تستجدي رضا الجن، وتستعطف قلوب العفاريت..!

انتهت سهرتي مع صديقي العالم الأزهري الخالص.. الذي فجعني فيه إخلاصي فيه.. إذ وجدته من المؤمنين بالخرافة، المؤيدين لحكايات الجن... وأحسست بأن وقتي ضاع بين هذا المغلوط العقيدة، ودقات ((الزار)) التي كانت تقتحم عليَّ نوافذ مكتبي.. دون مجير شهم ينقذني من الاثنين..!

وفي الصباح استيقظت على جرس التليفون.. يصيح صيحات طويلة، ومعناها أنّ مكالمة قادمة من خارج القاهرة... ورفعت السماعة.. لأجد أن المكالمة من الصعيد، والمتكلم هو زوج خالتي، ووالد زوجة ((إبراهيم الحران)).. يعلنني أنهم سوف يصلون غداً. وقد اتصل ليتأكد أنني في القاهرة.. خوفاً من أن أكون على سفر.. فهو يريدني لأمر هام.. ورحبت به، وقلت: إنني في انتظارهم.. ولم يكن أمامي سوى أن أفعل هذا لألف سبب وسبب!

أولها: أن الرجل الذي اتصل بي أكنّ له كل الاحترام والحب، وأنني لمست في صوته رقة الرجاء، وأنا ضعيف أمام اليائس الذي يلجأ إليَّ في حاجة وفي وسعي أن أقضيها له.. أخشى أن أرده - ولو بالحسنى - وأحاول جاهداً أن أكون من الذين يجري الله الخير على أيديهم للناس.. رغم أن هذا يسبب لي الكثير من المتاعب، وضياع الوقت إلا أنني أحتسب كل ذلك عند الله..!

وفي الغد ومع الركب الحزين، وكان مؤلفاً من زوج خالتي، وخالتي أم زوجة ((إبراهيم الحران)) وابنتها التي أصابتها اللوثة بعد وفاة طفلها.. وكانت في حالة يرثى لها. تفاقمت الحالة العقلية عندها، ودخلت في مرحلة الكآبة العميقة.. رفضت معها الكلام، وفقدت فيها الشعور بما يدور حولها.. لا تستطيع أن تفرق بين النوم واليقظة، ولا تجيب عمَّن يحدثها... انتقلت من دنيا الناس.. إلى دنيا الوهم والكآبة.. حتى زوت، وصارت هيكلاً عظمياً ليس فيها من علامات الحياة سوى عينين كآلة زجاج يرسلان نظرات بلا معنى.. وقال لي الأب وهو حزين: إنه يريد مني أن أتصل بابني وهو طبيب أمراض عصبية، ونفسية، ويعمل في ((دار الاستشفاء للأمراض

عبد المنعم الجداوي

النفسية والعصبية بالعباسية)) لكي يجد لها مكاناً في الدرجة الأولى..!

كانت الأم تبكي وهي نادمة تعترف بآثامها.. وكيف أنها بإصرارها على علاج ابنتها عند المشايخ، وبالجري والطواف حول الأضرحة، وضياع الوقت - جعلت المرض يستفحل، ويهدم كل قدرة لابنتها على مقاومته.. واعترفت بأنها أخطأت في حق زوج ابنتها ((إبراهيم الحران)) واستفزته بإصرارها على الخطأ، ولكن عذرها أنها كانت ضحية لجهلها، ولعشرات السيدات اللاتي كنَّ يؤكدن لها: أن تجاربهن مع المشايخ، والأضرحة والدجالين.. تجارب ناجحة، والمثل يقول: ((اسأل مجرباً ولا تسأل طبيباً))..!

واستطعنا بفضل الله أن نجد لها مكاناً، وأن نلحقها في نفس اليوم بالدرجة الأولى، وقال لي ابني: إنها حالة مطمئنة ولا تدعو إلى اليأس.. كل ما في الأمر أن الإهمال جعلها تتفاقم.. وبعد مضي أسبوع واحد من العلاج تحسنت السيدة، وقد عُولجت بالصدمات الكهربائية.. إلى جانب وسائل علاجية أخرى يعرفها المتخصصون، وخلال ذلك اتصل بي ((إبراهيم الحران)) فقلت له: إنني أريده في أمر هام، ولابد أنه يزورني في البيت... وحينما جاء شرحت له الأمر، وقلت له: إن الأطباء يرون في استرداده لزوجته جزءاً من العلاج - أيضاً - .. ولكن لفت نظري فيه.. أنه بعد قراءته للكتب التي حصلت له عليها من (الدكتور جميل غازي) في التوحيد أن أصبح إنساناً جديداً... فالعبارات التي كانت تجري على لسانه.. من الإقسام بالأنبياء، وتارة ببعض المشايخ قد اختفت نهائياً.. وعاد يمارس حياته بأسلوبه الرجل الذي لا يعبد غير الله، ولا يخشى إلا الله، ولا يرجو سوى الله.. وحتى بعد أن حدثته في أن يعيد زوجته.. أصر على أن يجعل هذه العودة مشروطة بأن تقلع أم زوجته عن معتقداتها القديمة، وكذلك والد زوجته.. أما زوجته فقال: إنه كفيل بها، وعقدت بينهم جميعاً مجلساً لم ينقصه إلا الزوجة ؛ لأنها كانت في المستشفى، وقبلوا شروطه بعد هذا الدرس القاسي!!

كان لزيارته لزوجته في المستشفى... أكبر الأثر في شفائها، وزادت بهجتها حينما عرفت أنه أعادها إلى عصمته. قال لي ابني الذي كان يشرف على علاجها: إن عودتها إلى زوجها، وزيارته لها كانت العلاج الحقيقي الذي عجَّل بشفائها، لأنها وهي وحيدة أبويها.. حطمتها صدمة وفاة ابنها.. ثم قضت على البقية الباقية من عقلها صدمة طلاقها.. بعد شهر وعشرة أيام تقريباً تقرر خروجها، وكان ينتظرها زوجها ووالدها ووالدتها في سيارة على الباب رحلت بهم إلى الصعيد فوراً!

لم أستطع أن أنزع من نفسي بقايا هذه المأساة، ولم يكن من السهل أن أتغافل عن الخرافة التي تخرب أو تهدم كل يوم بل وكل لحظة عشرات النفوس والبيوت في عشيرتي، وأبناء ديني.. وعلى امتداد الوطن الإسلامي كله.. ووجدتني أسأل نفسي: لماذا نحن الذين نعيش في الشرق الأوسط.. تمزقنا الخرافة وتجثم على صدر مجتمعنا الخزعبلات، فتمسك بنا وتوقفنا عن ممارسة الحضارة..؟

ومع أن الغرب، والمجتمع الأوروبي ليس خالياً من الخرافات، وليس خالياً من الخزعبلات، ومع ذلك فهم يعيشون في حضارة ويمارسونها.. تدفع بهم ويدفعون بها دائماً إلى الأمام!

الواقع أن خزعبلاتهم وخرافاتهم في مجموعها معادية للروح..تدفع بهم إلى الانزلاق أكثر من الماديات، وهذا هو ما يتفق وحضارتهم!!

أما هنا في الشرق.. فإن خرافاتنا معادية للعقل، وللمادة معاً..! ولهذا كانت خرافاتنا هي المسئولة عن تدمير حياتنا في الحاضر والمستقبل.

وليس هناك من سبيل لخروجنا من هذا المأزق الاجتماعي والحضاري سوى تنقية العقيدة مما ألصق بها وعلق بها من الشوائب التي ليست من الدين في شيء..!

فحينما يصبح ((التوحيد)) أسلوب حياة، وثقافة، وعقيدة... سوف تختفي من أفقنا وإلى الأبد.. هذه الغيوم.. غيوم الخرافات، والدجل، والشعوذة، والكهانة التي لا تقوى.

وتلك مسئولية ينبغي أن تقوم بها أجهزة التربية المباشرة وغير المباشرة، فإن ما نعيشه الآن هو صورة أسوأ مما قرأت في هذه الاعترافات، ولو أنك اخترت مائة أسرة كعينة عشوائية وبحثت فيها لوجدت أن كل ما رويته لك في هذه الاعترافات لا يمثل إلا أقل القليل.!

((ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين))..

❖ ❖ ❖

قريباً...

مسابقة
موقع الصوفية العلمية..

مسابقة
موقع الصوفية التربوية..

هدايا قيمة..
جوائز متنوعة..
مفاجآت!

فقط على موقع الصوفية
www.alsoufia.com

أحمد فريد

حـــاوره/ رأفـــت صـــلاح

الصوفية أرجـو أن تقـدموا لنـا تعريفـاً بمسيرتكم العلمية والدعوية؟

الشيخ: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أطيب المرسلين، بدأت بحمد الله عز وجل طريقي في طلب العلم النافع مع بداية السبعينيات، وكما قال ابن أبي شوذب: " إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسك أن يوفقه الله إلى صاحب سنة يحمله عليها ".

فكانت بدايتي والحمد لله على السنة، وكنت شغوفاً من البداية بدراسة فتح الباري، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه المحقق ابن القيم، وكذا كتب ابن رجب الحنبلي وهي المدرسة السلفية التي ما زالت تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وقد شافهنا بحمد الله تعالى علماء الصحوة المعاصرة كالعلامة ابن باز والألباني وعبد الله بن قعود وابن عثيمين – رحم الله الجميع – ونحن على معتقدهم وفكرهم وفهمهم للكتاب والسنة ، وأسأل الله تعالى أن يثبتنا وإخواننا السلفيين في كل مكان، والله المستعان.

الصوفية من المعروف أنكم تتخصصون في الحديث عن مسائل الرقائق، ويعتبر كثير من الدعاة أن الكلام في هذه المسائل تزداد أهميته في وقتنا الحالي، فما رأيكم؟

الشيخ: لا شك في أن المسلمين عامة وطلاب العلم الشرعي خاصة يحتاجون إلى الرقائق في هذه الأوقات التي كثرت فيها الشبهات والشهوات ، وأعرض أكثر الناس إلا من رحم الله عن طاعة رب الأرض والسماوات، وغلب على الناس المادية ، أما طلاب العلم الشرعي فهم أشد الناس حاجة للرقائق كما يقولون: " يطيب القلب للعلم كما تطيب الأرض للزراعة ".

الصوفية تزكية النفس من الأبواب المهمة في الرقائق، بل تكاد أن تكون عنواناً جامعاً لمسائله، فما أهميتها في الكتاب والسنة؟

الشيخ: الرقائق جمع رقيقة، وهي كل ما يحدث في القلب رقة، وهي تشتمل على ذكر أحوال القلوب وأقسامها وأغذيتها وسمومها، وكذا محاسبة النفس وعبادات القلب كالخوف والرجاء والمحبة، وذكر أمور الآخرة الموت وحياة البرزخ والقيامة والجنة والنار.

وأما تزكية النفوس فهي العقائد والعبادات والأذكار التي تزكو بها النفس أي تصلح وتنمو ، وقد دلت أدلة الكتاب والسنة على أهميتها، ففي الكتاب العزيز أن من مهمات النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – تزكية نفوس العباد كما قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ))[الجمعة:٢].

وأقسم الله عز وجل في كتابه أحد عشر قسماً متوالياً على أن صلاح العباد منوط بتزكية نفوسهم، فقال تعالى: ((وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ❖ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ❖ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ❖ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ❖ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ❖ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ❖ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا))[الشمس:١- ١٠].

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم – يدعو بهذا الدعاء: " اللهم أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها ".

> فالبعيد عن أنوار السنة يفتن بهذه الطرق الصوفية، وهم في الواقع قطاع طريق يحولون بين المسلم وبين سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

الصوفية كيف يزكي الإنسان نفسه وسط اضطرابات الحياة المعاصرة والمشكلات اليومية وتسارع الأحداث؟

الشيخ: يجب على كل مسلم الاهتمام بتزكية نفسه حتى يسعد ويفلح في الدنيا والآخرة، وأهم ما تزكو به النفس العقيدة الصحيحة، أرسل الله عز وجل موسى إلى فرعون يقول له: ((فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى)) ❖ ((وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى))[النازعات:١٨- ١٩].

وقال تعالى: ((وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ❖ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ))[فصلت:٦- ٧]، والزكاة هنا المراد بها الزكاة بالتوحيد ونبذ الشرك، كما قال ابن عباس:" الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ".

ثم تكون التزكية بعد التوحيد بأداء الواجبات والإكثار من نوافل الطاعات.

الصوفية كيف نجمع بين الحاجة إلى تزكية النفس والجهد المطلوب لتحقيقها وحديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه " يأتي على الناس زمان يمسي الرجل فيه مؤمنا ويصبح كافراً " هل يمكن أن ينتقل الإنسان من حالة التزكية إلى الفسق والكفر بهذه السرعة؟

الشيخ: لا شك في أن النفس إذا زكت وطهرت وساعدت صاحبها على طاعة الله عز وجل، فإن العبد يكون أقوى على مواجهة عواصف الشبهات والشهوات، وإنما يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً، إذا كثرت عليه الفتن وكان ضعيف الإيمان، يبيع دينه بعرض من أعراض الدنيا، فكلما سلم قلبه من الشهوات والشبهات، وكلما ارتفعت شجرة الإيمان في سماء قلبه، وامتدت جذورها في أرض قلبه، فإنه يكون أجلد وأقوى على مواجهة الشبهات والشهوات.

الصوفية لماذا استغل الصوفية باب تزكية النفس لاختراق عقول البسطاء في الأمة؟

الشيخ: لا شك أن كل مسلم يحب أن يرق قلبه حتى يجد حلاوة الإيمان في الدنيا وسعادة الآخرة، ولكن الجاهل الذي لا يفرق بين البدعة والسنة، وبين الهدى والضلال يفتن بالطرق الصوفية، وحيث ينتشر الجهل تنتشر الصوفية، وكما قال بعضهم:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فالبعيد عن أنوار السنة يفتن بهذه الطرق

حوار مع الشيخ/ أحمد فريد

الصوفية، وهم في الواقع قطاع طريق يحولون بين المسلم وبين سنة النبي- صلى الله عليه وسلم –.

الصوفية ما هي صور استغلال الصوفية لهذا الباب لتحقيق انتشار واسع بين الناس، بخاصة العوام منهم؟

الشيخ: لاشك في أن من أقبح هذه الصور التي استغلها الصوفية لتحقيق الانتشار بين البسطاء: الغلو في الصالحين، وإنشاء المساجد على القبور، وتوجيه العبادات من النذر والذبح والدعاء والاستغاثة لغير الله عز وجل، ومن ذلك الموالد التي يكثر فيها اختلاط الرجال بالنساء والمخدرات والفواحش والمنكرات وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة.

> وسائل التزكية عند الصوفية فهي أوراد وأذكار مبتدعة كالذكر بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً

الصوفية كيف يفرق المسلم بين تزكية النفس على منهاج السلف، وبين وسائل الصوفية وأساليبهم المزعومة في ترقية أحوال المريدين؟

الشيخ: ذكرنا أن وسائل التزكية عند أهل السنة تحقيق التوحيد وأداء العبادات الواجبة ثم الإكثار من النوافل، عملاً بقول الله عز وجل في الحديث القدسي: " وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ".

أما وسائل التزكية عند الصوفية فهي أوراد وأذكار مبتدعة كالذكر بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً، وتحريم ما أحل الله عز وجل من المطاعم والملابس، وترك الزواج بحجة أنه إذا تزوج أنس بالزوجة ولا يجوز الأنس بغير الله، وقد جهلوا أو تجاهلوا أن النبي - صلى الله عليه وسلم – تزوج ثلاث عشرة امرأة، واجتمعت عنده إحدى عشرة، ومع ذلك كانت قرة عينه في الصلاة، وكان سيد العابدين صلى الله عليه وسلم.

الصوفية نموذج الشيخ والمريد يتوافق مع حاجة كثير من الناس للمتابعة والرعاية، فهل يوجد لدى السلفيين نموذج مقابل للتربية وتزكية النفس؟

الشيخ: نحن لا ننكر أن يكون هذا النموذج : (الشيخ)، (وطالب العلم)، وكما كانوا يقولون: " لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر "، وكان الطلاب يأخذون من شيوخهم العلم والأدب وحسن السمت والورع، وقد ندب العلماء إلى القرب من العلماء الربانيين، والدعاة المخلصين حتى ترق القلوب وتقترب من علام الغيوب، وغفار الذنوب واستدلوا بقول أنس رضي الله عنه: " ما نفضنا أيدينا من دفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – حتى أنكرنا قلوبنا ".

وقد سئل أحد الأفاضل: هل يمكن أن يأتي جيل مثل الصحابة رضوان الله عنهم؟ فقال: " لا يمكن. فقيل: لماذا؟ قال: لأنهم يلزمهم أن يلزموا شيخاً مثل رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ".

(هذا السؤال أرى أن يحذف مع جوابه)

الصوفية ما قولكم في مثل هذه العبارات التي تتردد كثيراً في كتب الصوفية وأدبياتهم القديمة والمعاصرة:

- المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي مغسله.
- من لا شيخ له فشيخه الشيطان.
- من قال لشيخه لم، لم يفلح أبداً.

الشيخ: هذه الكلمات والمصطلحات الصوفية:

- المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي مغسله.
- من لا شيخ له فشيخه الشيطان.
- من قال لشيخه لم، لم يفلح أبداً.

وكذا قولهم: - شرط المرافقة الموافقة.

- من اعترض انطرد.

> المسلم ينبغي أن يكون بين يدي الشارع كالميت بين يدي الغاسل

قائمة على السمع والطاعة للشيخ في الطاعة والمعصية، والبدعة والسنة، وليس من حق المريد أن يسأل عن الدليل، ففي هذا سوء أدب مع الشيخ.

نقول: هذه الطاعة المطلقة لله عز وجل وللرسول - صلى الله عليه وسلم – كما قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)) [النساء:٥٩].

فالطاعة المطلقة للكتاب والسنة، فمن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم. والمسلم ينبغي أن يكون بين يدي الشارع كالميت بين يدي الغاسل .

أما العلماء والأمراء فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فما جعل الله عز وجل الطاعة المطلقة لمخلوق يخطئ ويصيب، قال أبو بكر رضي الله عنه: " أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ".

والسؤال من طالب العلم عن الدليل ليس سوء أدب مع العالم، بل ينبغي أن يتأكد طالب العلم من أنه خلق النبي - صلى الله عليه وسلم –، لقوله تعالى: ((وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)) [النور:٥٤]، وقال تعالى: " وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" الأعراف ١٥٨.

الصوفية ما هو المدخل الذي يمكن اتباعه لإرشاد المخدوعين بالطرق الصوفية في هذا الباب؟

الشيخ: ينبغي أن يعلم الناس أن الله عز وجل لم يجعل لأحد من الأمة من علمائها ما جعله الله عز وجل لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم – في قوله تعالى: ((مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ))[النساء:٨٠]^، وقال تعالى: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا))[الحشر:٧]^.

فحب النبي - صلى الله عليه وسلم – ووجوب اتباعه وتقديم سنته وطريقته على اتباع أي معظم أو متبوع في الأمة، قال ابن عباس رضى الله عنهما: " يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول" قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – وتقولون: قال أبو بكر وعمر "، فإذا قال الله عز وجل فلا قول لأحد، وإذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – فلا قول لأحد.

الصوفية هل ترون الطرق الصوفية خطراً يتهدد الدعوة الإسلامية في مصر؟ وإن كانت كذلك فما هي ملامح هذا الخطر؟

الشيخ: لا شك أن الطرق الصوفية خطر يتهدد الدعوة الإسلامية في مصر خاصة، لوجود الموالد والمقبورين في المساجد، لكن مع انتشار العلم والدعوة على بصيرة، لا شك في أن هذا الخطر سوف ينحصر، فحيث ينتشر الجهل تنتشر الصوفية.

التربية عند الصوفية

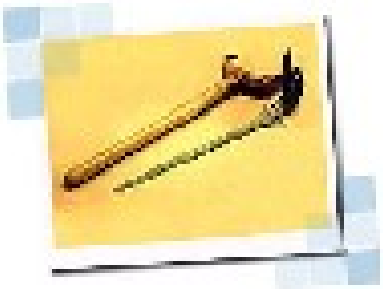

أكرم مبارك عصبان

لقد حوت طرق الصوفية دعاوى عريضة في الحقائق، وخوارق في باب السلوك والرقائق تنتهي إلى حيث لا يقوى على تصديقها - فضلاً عن حملها - من أشرب قلبه معالم الدين، فرسموا تربية تمكنهم من التمادي في السير إلى نهاية المطاف، ولافتة يرفعونها كلما بادر عليهم الأتباع بالإنكار، واخترعوا أصولاً فاسدة لتربية مريديهم تلتقي عند القول (بحفظ الشيخ عن الخطأ) و(الخضوع التام له) حيث يستحيل المريد إلى جماد يتصرف فيه الشيخ، وبهيمة يأخذ برأسها فينقاد له بلا اعتراض، ويسلم له في جميع أحواله ولو كان يرتكب المعاصي علانية، وجعلوا هذا التسليم ركناً ركيناً، وعقداً مكيناً بينهم وبين المريدين، يترتب عليه آثاره، ويسري بين الطرفين، وأخذوا عليهم فيه الأيمان المؤكدة والمواثيق الغليظة، والنكتة في هذا العقد أن الغاية لا تتحصل بالعلم وإنما بالرياضة على يد شيخ قد جرب الطريق وكشف له الحجاب وتجلت له الأنوار فيدرج المريد خلف شيخه في عقبات الطريق ليحصل له الكشف.

قال السهروردي: (الشيخ يسلك بالمريد طريق التزكية، وإذا تزكت نفسه انجلت مرآة القلب، وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية، ولاح فيه جمال التوحيد) [1] وبعد التسليم بالعقد يدخل المريد في حكم شيخه، وتكون الخرقة الصوفية شعاراً لهذا النوع من التربية، وعلامة للقبول في الطريقة، ويدخل الزوايا أو الخوانق التي بنيت لتجمع شمل هؤلاء القادمين ويتخرجوا من عتباتها.

أهمية الشيخ المربي في الفكر الصوفي

تظهر أهمية الشيخ في الوصية به كونه حجر الزاوية في التربية، ومن لم يكن له شيخ فليس بشيء، ونقلوا عن البسطامي قوله: (من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان) وقريباً منه قول الرفاعي: (من لم يكن له أستاذ فشيخه الشيطان) ويرى علي محمد وفا أن المريد كالعورة التي لا حرج أن تبدو للطبيب في علاجه المرض، لكي يطلع الشيخ على كل ما يتعلق بالمريد فيقول: من ليس له أستاذ ليس له مولى، ومن ليس له مولى فالشيطان به أولى. وكان يقول: ينبغي للمشايخ تفقد حال المريدين، ويجوز إخبار الأستاذ بما في بواطنهم إذ الأستاذ كالطبيب، وحال المريد كالعورة، والعورة قد تبدو للطبيب لضرورة التداوي، وفي الحقيقة كل مريد رأى أن له عورة مع شيخه فهو أجنبي عنه لم يتحد به. [2]

ويبعد أبو المواهب الشاذلي في الوصية إلى الغلو في الشيوخ فيقول: ما ثقل على الأشياخ خدمة أحد من الفقراء إلا لعلة في قلب الخادم كتمها عنهم، وهذه علة لا يسلم منها إلا من أتى الله بقلب سليم، ولو أن الخادم كان أظهر لهم تلك العلة لربما وصفوا له دواءها أو شفعوا له فمحاها الله تعالى عنه من اللوح! أو سألوا النبي في الشفاعة فيه فيشفع إلا إذا كان قضاء مبرماً لا مرد له!!!

وقد رأى السيد عبد القادر الجيلاني لمريده أنه لا بد له أن يزني بامرأة سبعين مرة !! فقال: يا رب! اجعلها في النوم فكان كذلك. [3] وهذه ظلمات بعضها فوق بعض، وملامح التخريف بادية على الوصف، ولذا لم يكتف الواصف بأمر الجيلاني - الذي نربأ به عن ذلك - بالزنا مرة واحدة، بل جعلها سبعين إذ لا يضره كمية العدد ما دام الكيل جزافاً؟

> المريد كالميت عند مغسله هكذا اختار الصوفية هذا التشبيه لتصوير المريد بين يدي شيخه، واستملحوا إيراده كثيراً دون نكير

المريد كالميت عند مغسله

هكذا اختار الصوفية هذا التشبيه لتصوير المريد بين يدي شيخه، واستملحوا إيراده كثيراً دون نكير، وهو يوحي بالموت الكامن وراء هذه التربية، فيصير المريد كالميت بين يدي مغسله، وهذا شرطٌ لازمٌ وجوده، فإذا فقد هذا الشرط ذهب العقد برمته، فليستصحب المريد إذا هذا الشرط القوي، ويحرم عليه السؤال بكيف؟ ولمَ؟ وقد صاغه بعضهم بالشعر قائلاً:

وكن عنده كالميْت عند مغسل
يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره
عليه فإن الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه ولو يكن على
غير مشروع فثم مخادع
وفي قصة الخضر الكريم كفاية
لقتل الغلام والكليم يدافع

ويزيده إبراهيم الدسوقي تفصيلاً فيقول: المريد مع شيخه على صورة الميت لا حركة ولا كلام ولا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذنه من زواج أو سفر أو خروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم أو قرآن أو ذكر أو خدمة في الزاوية أو غير ذلك، وهكذا كانت طريق السلف والخلف مع أشياخهم فإن الشيخ هو والد السر، ويجب على الولد عدم العقوق لوالده، ولا نعرف للعقوق ضابطاً نضبطه به إنما الأمر عام في سائر الأحوال، وما جعلوه - أي المريد - إلا كالميت بين يدي الغاسل، وكان يقول: يجب على المريد أن لا يتكلم قط إلا بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب.

ويعد أبو المواهب الشاذلي السؤال بـ (لم؟) ذنباً عند الصوفية فيقول: ربما منع المريد من أجل قوله لشيخه: لم فإنه ذنب عند أهل الطريق لا يشعر به كل أحد.

ويزيد الطين بلة نور الدين المرصفي فيزعم أنه ليس للمريد أن يسأل شيخه عن سبب غيظه وهجره له، بل ذلك من سوء الأدب، ولا يجوز للمريد عند أهل الطريق أن يجيب عن نفسه أبدا إذا لطخه شيخه بذنب ؛ لأنه يرى ما لا يرى المريد!!! [4].

المريد ملك الشيخ:

الفناء في إرادة الشيخ والعبودية له بحيث يصير ملكاً يفعل فيه ما يشاء هذه

التربيـــة عنـــد الـــصوفية

عبارات وردت في قاموس الصوفية، الطلبة يرون أنفسهم ملكاً للشيخ يفعل فيهم ما يشاء، فهذا نموذج منهم يسمى محمد الغمري خدم عند أحمد الزاهد فقال: وكان قد قسم الفقراء ثلاثة أقسام: كهول وشباب وأطفال، وقد أخذ العهد عليهم أن لا يجيب أحد عن نفسه قط بل يعفو عن الظالم أو يشكوه للشيخ يفعل فيه ما شاء من حيث أنهم كانوا يرون نفوسهم ملكاً للشيخ يفعل فيهم ما يشاء، وهم أوصياء على أجسامهم فينتصرون لها من حيث أنها مضافة إلى الحق، وما كان أحد منهم يتكدر مما يفعله الشيخ معه من هجر أو إخراج أو ضرب أو جوع أو نحو ذلك بل كانوا يرون الفضل للشيخ!!! [٥].

وقد عبر بعضهم بأن المريد من تحقق بمراده في عين أستاذه وهو فناء إرادة المريد في إرادة الشيخ فلا حركة ولا سكون إلا موافقاً له، وفي هذا يتغنى القائل:

وأنزل الشيخ في أعلى منازله واجعله قبلة تعظيم وتنزيه
واترك مرادك واستسلم له أبداً وكن ميتاً مخلى في أياديه
واعدم وجودك لا تشهد له أثراً ودعه يهدمه طوراً وينيه

آداب المريد في تقديس الشيخ:

أدب المريد على سبيل الإجمال هو الخضوع التام كما سبق، وعلى سبيل التفصيل وردت جملة آداب لا تمت للشرع بصلة، بل هي تؤدي إلى الغلو في الشيوخ، منها: خدمة الشيخ وأنها أفضل من الحج كما عند يوسف العجمي في قوله (إنما يصلح السفر للرجال إذا كملوا، وأما المريد فإقامته في خدمة شيخه ساعة أفضل من خمسين حجة)

ومنها عدم استدباره؛ لأنه أعظم من الكعبة كما قال الشعراني: (لا ينبغي للمريد أن يستدبر شيخه أبدا إلا بإذن ويكون ذلك مع استشعار المريد الخجل حتى كأنه يمشي على الجمر فإن شيخه أعظم حرمة من الكعبة)[٦].

ومنها عدم الاعتراض عليه بالقلب فضلاً عن اللسان قال القشيري (ومن شرطه أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه)[٧] وأن يجلس عنده بخشوع ولا يطأ سجادته:

وسلم الأمر له لا تعترض
ولو بعصيان أتى إذا فرض
وكن لديه مثل ميت فاني
لدى مغسل لتمس داني
ولا تطأ له على سجادة
ولا تنم له على وسادة

منهج الصحابة:

لا شك أن منهجاً كهذا لا يخرج إلا أرتالاً من الأتباع الذين لا إرادة لهم، يسكتون على المنكرات، ويستسيغون الخرافات، ويمشون في ركاب التصوف مغمضي العينين إلى حيث مهالك الوحدة وغيرها من القضايا الفلسفية، وهو منهج منحرف عن منهج الصحابة الذين تربوا على العلم والأخذ بالنصوص، وقد استوقفني من أمرهم موقفان حدث كلاهما في الكوفة التي وليها كل من ابن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، وكأني بأبي موسى وقد وردت عليه مسألة في الفرائض فيها بنت وبنت ابن وأخت، فقضى للبنت النصف وللأخت النصف وأسقط بنت الابن، ثم استدرك قائلاً: وائت ابن مسعود فسيتابعني، فسئل ابن مسعود وأخبر باستدراك أبي موسى فقال: ضللت إذاً وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للبنت النصف ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين وللأخت ما بقي، فأتى أبا موسى وأخبره بالجواب فقال: لا تسألوني ما دام فيكم هذا الحبر.

لا شك أن منهجاً كهذا لا يخرج إلا أرتالاً من الأتباع الذين لا إرادة لهم، يسكتون على المنكرات، ويستسيغون الخرافات

ولئن صال ابن مسعود هنا بحجته على أبي موسى فإن الموقف الآخر يقضي بالحجة لأبي موسى، فبينما هما في أحد المجالس الطيبة قال أبو موسى لابن مسعود: أرأيت يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب فلم يجد الماء كيف يصنع؟ فقال أبو عبد الرحمن: لا يصلي حتى يجد الماء، فقال أبو موسى فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: كان يكفيك، قال: ألم تر أن عمر لم يقنع بذلك، فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمر، كيف تصنع بهذه الآية: ((فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا))[النساء:٤٣] فما درى عبد الله ما يقول، فقال: إنا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم. ا. هـ [٨]

ولم يقنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقول عمار لكونه أخبره أنه كان معه في تلك الحال، فقال: اتق الله يا عمار، قال: إن شئت لم أحدث به، فقال عمر: نوليك ما توليت، وقد فسر النووي جملة عمر رضي الله عنه الأخيرة بأنه لا يلزم من كوني لا أتذكره أن لا يكون حقاً في نفس الأمر، فليس لي منعك من التحديث به. أ. هـ.

والملمح المهم في هذا السياق هو إعلام عمار لعمر بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم حمل عمار على رأيه مع أنه - أعني عمر رضي الله عنه - رأس الملهمين، وليس في الملهمين أفضل منه لقوله عليه السلام في الحديث الصحيح: (إنه كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر منهم) وتأمل مراجعة عمار له رضي الله عنهما في المسألة السابقة تجد أنه لم يدع العصمة، مع أنه قد وافق ربه في بعض أشياء، وناقشه الصحابة في أمور، ورجع إلى قولهم كمناظرة أبي بكر له في مانعي الزكاة وغيرها، فماذا يقول هؤلاء الصوفية الذين يحتجون بالإلهام ويأخذون الأثر بخلاف مأخذه الصحيح.[٩]

نقض الشبهات:

يورد الصوفية شبهات في باب التربية الذليلة التي ابتدعوها نقف عند اثنتين: الأولى: القول بحفظ الشيخ والثانية الاستدلال بقصة موسى والخضر عليهما السلام، فأما ما كان من حفظ الشيخ فإنهم يضاهئون به عصمة الأئمة عند الرافضة، وقد أثبت القول بالحفظ القشيري بقوله: (ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً) والسبب يعود عندهم كون الحق يتولى تصرفه (فيصرفه في وظائفه وموافقاته فيكون محفوظاً فيما لله عليه مأخوذا عما له وعن جميع المخالفات فلا يكون له إليها سبيل وهو العصمة) [١٠]

وقد وضح شيخ الإسلام هذا الغلو الذي يقضي بالعصمة فقال في منهاج السنة: (وكثيراً من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في الشيخ نحو ذلك ويقولون: الشيخ محفوظ ويأمرون باتباع الشيخ في كل ما يفعل لا يخالف شيئاً أصلاً، وهذا

مـــن جـــنس غلـــو الرافـــضة والنـــصارى والإسماعيلية الـتي تـدعي في أئمتها أنهـم كانوا معصومين) وأضاف في موضع آخر: (بـل كـــثيراً مـــن النـــاس مـــن عبـــادهم وصوفيتهم وجندهم وعامتهم يعتقدون من شيوخهم العـصمة مـن جـنس مـا يعتقـده الرافضة في الاثني عشر، وربما عبروا عن ذلـك بقـولهم: الـشيخ محفـوظ) وقـال في الفتـاوى: (أمـا الـشرك فغالـب عليهم أن يحبوا مشايخهم أو غيره مثل ما يحبون الله ويتواجدون على حبه) [11].

وأما الاستدلال بقصة موسى والخضر عليهما الـسلام الـذي يبتغـون مـن ورائـه القول بامتلاك العلوم اللدنية فإنه مردود، وتنحل أول عقدة منه بالقول بنبوة الخضر لقوله: (وما فعلته عن أمري) وتنحل الثانية بالقول بوفاته، وقد زاد شيخ الإسلام ابن تيميـة نقـض هـذا الاسـتدلال أيـضاً مـن جهـتين: إحـداهما أن موسـى لم يكـن مبعوثاً إلى الخضر لقوله: (إني على علم من الله علمنيه الله لا تعلمه..) والثانية أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفا لشريعة موسى بل كان موافقاً، لكن موسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينها له وافقه على ذلك. [12]

تمارين على الاستكانة والذل:

لم تـزل تفعـل الحكايـات الـصوفية فعلها في تربية المريدين حتى استكانوا لشيوخهم فلا ينكرون عليهم، ولو فعلوا المنكـر الـذي لا مرية فيه، والقصص في هـذا المجـال كـثيرة تمـرّن المريـد علـى الخضوع ويرتـضع مـن لبانهـا منـذ وضـع قدمه في الطريق، ونجيز لأنفسنا بالتقاط ثلاثة مشاهد يرويها لنا أحمد بن مبارك السجلماسي وهي :

الأول: مشهد رجل يحب الصالحين خرج من ماله فباعه وجمع ثمنه وخرج به لبعض مـن شـهر عنـه الـصلاح، وكانـت تقـصده الوفـود مـن النـواحي، وسـأل عـن داره، فسأله الخادم عن اسمه فقال: عبد العلي، وكان الشيخ المشهور بالولاية من العصاة!! ولـه نـديم يتعـاطى معـه الـشراب اسمـه عبدالعلي! فـأذن لـه ظنـاً أنـه نديمـه، فلمـا دخل على الشيخ وجد الشراب بين يديه وامرأة فاجرة معه، فتغافل عن ذلك كله وقـال: يـا سـيدي! سمعـت بـك مـن بـلادي وجئتك قاصداً لتدلني على الطريق، وهـذا مـالي أتيتـك بـه. فقـال الـشيخ: يتقبـل الله منـك، فأعطـاه رغيفـاً وفأسـاً، وأمـره بالخدمـة في البـستان، فـذهب مـسروراً فرحـاً للخدمـة، وصـادف وفـاة أكـبر العارفين من الديوان، فحضر وفاته الغوث والأقطاب السبعة!! وعرضوا عليه أن يعين له وارثاً، فقال: عبد العلي الذي وفد فلان المبطل، فانظروا إلى حسن سريرته مع الله عز وجل، وإلى تمام صدقه وخاطره ونفوذ عزمه، وصلابة جزمه، فإنه رأى ما رأى ولم يتزلـزل لـه خـاطر ولا تحـرك لـه وسـواس، فهل سمعتم بمثل هـذا الـصفاء الذي في ذاته!!!

الثاني: إن بعض الأكابر له عدة أصحاب فـأراد أن يختـبرهم، فـاجتمعوا عنـد بـاب خلوتـه، فـأظهر لهـم صـورة امـرأة فـدخلت الخلوة، فقام الشيخ ودخل معها، فـأيقنوا أن الشيخ اشتغل معها بالفاحشة، فتفرقوا كلهم وخسرت نيتهم إلا واحد! فإنه ذهب وأتى بالماء وجعل يسخنه يقصد أن يغتسل به الشيخ! فخرج عليه الشيخ وسـأله فقال: رأيت المرأة دخلت. فقلت: لعلك بحاجة إلى غسل، فسخنت لك الماء! فقال له الشيخ: تتبعني بعد أن رأيتني على المعصية فقال لـه: ولم لا أتبعـك والمعـصية لا تـستحيل عليك وإنما تستحيل في حق الأنبياء! ولم أخالطك على أنك نبي، وإنما خالطتك على أنك بشر، وأنك أعرف مني بالطريق وهـي باقيـة فيـك، فقال له: يا ولدي تلك الدنيا تصورت بصورة امرأة وأنا فعلت ذلك لينقطـع عـني أولئـك القـوم، فادخـل معـي الخلوة فهل تـرى امـرأة فـدخل فلـم يجـد امرأة.

الثالـث: بعـض المـشايخ أراد أن يمـتحن صدق مريد له فقال: أتحبني؟ قال: نعم، قـال: أرأيـت إن أمرتـك أن تـأتيني بـرأس أبيك أتطيعني؟ قال: يا سيدي! كيف لا أطيعك، ولكـن الـساعة تـرى، فـذهب مـن حينـه، وكـان ذلـك بعـد أن رقـد النـاس فتسور جدار دارهم وعلا فوق السطح ثم دخل على أبيه وأمـه، فوجـد أبـاه يقـضي حاجتـه مـن أمـه، فلـم يمهلـه مـن قـضاء حاجتـه بـل قطـع رأسـه وأتـى بـه للـشيخ وطرحه بين يديه، فقال: ويحك إنما كنت مازحـاً! فقـال لـه المريـد: أمـا أنـا فكـل كلامك عندي لا هزل فيه! فقال الشيخ: انظر هل هو رأس أبيك. فنظر المريد فإذا هو رأس فلان العلج، وكان أبوه قد غاب فخانتـه زوجتـه في فراشـه ومكنتـه مـن نفسها، وكوشف الشيخ بذلك، فأرسل المريـد ليقتلـه! وليمـتحن صـدقه فكـان وارث سره والمستولي بعده على فتحه... [13]

فتأمـل هـذه الثلاثـة المـشاهد الـتي تكشف مخاطر هذه التربية نلخصها في التالي:

- تعطيل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإسقاط الاستدلال بالنصوص
- الـدعوة للبطالـة وارتكـاب المعاصـي المعلومة بكونها فسقا كالخلوة بالأجنبية في الأمثلة الأول والثاني والقتل في المثال الأخير.
- التـسليم للأقـوال المتـضمنة الكفـر والضلال المسمى عندهم شطحا.
- الغلو في المشايخ بتعظيمهم والتسليم لهم ثم تقديس أضرحتهم بعد موتهم.

الهوامش

١ ـ عوراف المعارف (ص ٨٣).
٢ ـ قلادة الجواهر (ص ٢٠٩) ـ حلية الأولياء (٣٣/١٠) ـ الطبقات الكبرى للشعراني (ص ٣٨٣).
٣ ـ الطبقات الكبرى (ص ٢٨١).
٤ ـ (ص ٣٠٥ ـ ٤٨٨).
٥ (ص ٤٩٤ ـ ٥٠٤).
٦ ـ الأنوار القدسية (٤٥/٢ ـ ٦٢/٢).
٧ـ الرسالة (٦٢٢) ومن جملة الآداب ما نقله محمد بن أبي جمرة عنهم بأنه لا ينبغي للشيخ أن يأكل مع المريد ولا يجالسه إلا عند ضرورة خوفاً على المريد من سقوط حرمته من قلبه، ومنها ما نظمه صاحب الرائيـة الـتي شـرحها الـسجلماسي في قوله:

ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته
ولا تجهروا جهر الذي هو في قفر
ولا تنطقن يوماً لديه فإن دعـا
إليه فلا تعدل إلى الكـلم النزر
ولا يقعدن قدامه متربـعا
ولا بادياً رجلاً فـبادر إلى الستر
سوى الشيخ لا تكتمه سراً فإنـه
بساحة كشف السر يجري على بحر

٨ ـ انظر فتح الباري كتاب التيمم (١/ ٥٩٩)، وكتاب الفرائض (١٢ / ١٨).
٩ ـ الحديث رواه البخاري في صحيحه.
١٠ ـ الرسـالة للقـشيري (ص ٥٢١/٢)، والتعرف للكلاباذي (ص ١٤٧).
١١ ـ منهاج السنة (٦/ ١٧٥ ـ ٤٣٠)، مجموع الفتاوى (٤١٧/١٠).
١٢ ـ الفرقـان بـين أوليـاء الـرحمن وأوليـاء الشيطان.
١٣ ـ الإبريز (ص ١٨٦ ـ ١٨٨).

❖ ❖ ❖

البدعة.. رؤية تحليلية

الابتداع هو التضاد التام مع الدين..
لأنه ليس مجرد خروج عليه، ولكنه تغيير فيه..

وهذا التغيير ليس مجرد تغيير لحقائق في الدين، ولكنه تفكيك للإحكام المنهجي الذي يقوم عليه الدين كله..

عن غضيف بن الحارث الثُّمالي قال: بعث إليّ عبد الملك بن مروان فقال: يا أبا أسماء، إنَّا قد أجمعنا النَّاس على أمرين، قال: وما هما؟ قال: رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد الصبح والعصر، فقال: أما إنَّهما أمثل بدعتكم عندي، ولست مجيبك إلى شيءٍ منهما، قال: لِمَ؟ قال: لأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلَّم قال: «ما أحدث قومٌ بدعة إلَّا رُفع مثلها من السُّنَّة، فتمسُّكٌ بسنَّةٍ خيرٌ من إحداث بدعةٍ»[1].

ودليل ذلك هو معنى الحكمة الدال على الإحكام، والمقابل لمعنى البدعة..

وذلك على أساس الارتباط بين الحكمة والإحكام من ناحية.. والتقابل بين الحكمة والبدعة من ناحية أخرى.

قال الفضيل بن عياض: (ومن جلس مع صاحب بدعة؛ لم يُعط الحكمة)[1].

ولما كانت الحكمة مفهومًا يتعلق بالإنسان وشخصه - طبيعته وخُلقه- كانت أخطر آثار البدعة في شخصية المبتدع هي حرمان الحكمة.

وقد بين ذلك الإمام أبو عثمان النيسابوري في تفسير قوله تعالى: ((إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ))[الشعراء:٨٩]^ قال: (هو القلب الخالي من البدعة، المطمئن إلى السنة)[1].

وقال: (من أمَّر السنة على نفسه - قولًا وعملًا- نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه - قولًا وعملًا- نطق بالبدعة)[1].

حيث إن اتباع الهوى يجعل الإنسان ينطق بالبدعة بعد فقده للربانية، التي تجعله ينطق بالحكمة.

وكما تقابلت البدعة مع الحكمة.. تقابلت آثار البدعة مع آثار الحكمة..

فأول آثار البدعة ذُل المبتدع، وأول آثار الحكمة عِزة الحكيم..

ولذلك أورد ابن كثير قول لقمان لابنه: (يا بني، إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك)[1].

ومن هنا كان الذل أول آثار البدعة في شخص المبتدع.

قال الحسن البصري: (إن ذلَّ البدعة على أكتافهم، وإن هَمْلَجَت بهم البغلات، وطقطقت بهم البراذين)[1].

وكل من «افترى بدعة» فإن ذُلَّ البدعة ومخالفة الرسالة متصلة من قلبه على كتفيه، كما روى أيوب السَّخْتِيَاني عن أبي قِلابة الجَرْمي أنه قرأ هذه الآية: ((وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ)) [الأعراف:١٥٢]^ قال: هي واللَّه لكل مفترٍ إلى يوم القيامة.

وقال سفيان بن عيينة: (كل صاحب بدعة ذليل)[1].

والذل الذي يصيب المبتدع ناشئ عن انفصاله عن الأمة، الذي يُفقده إحساسه بذاته.. بعد انفصالها عن السنة وأهلها..

ومن هنا كانت صيغة التعويض النفسي عند الخروج على الأمة هي المبالغة في العبادة، مثلما كان من أمر الخوارج..

فبينما كان رسول الله يوزِّع الغنائم قال رجل: هذه القسمة لم يُبتغ بها وجه الله، فأراد عمر قتله، فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: «سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قومٌ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم»[1].

ولعلنا نلاحظ قوله صلى الله عليه وسلم: «يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم» وهي المبالغة في العبادة التي تعالج غيبة إحساسه بذاته بعد انفصاله عن أمته.

فبمجرد انقطاع المبتدع عن السنة ينقطع عن الأمة، وينقطع عن الله!!

وكان لكل من الانقطاع عن الأمة والانقطاع عن الله أحكام تُحقق في واقع المبتدع ما كتبه الله عليه من الذل:

أفقدته حرمته في المجتمع:

أخرج البيهقي عن الحسن البصري قال: (ثلاثة ليس لهم حرمة في الغيبة: فاسق معلن الفسق، والأمير الجائر، وصاحب البدعة المعلن البدعة...)[1].

كما لا يكون لرأيه وزنٌ أو اعتبار:

يقول الألوسي في تفسيره: (إن مخالف هذا الإجماع من أهل البدعة؛ فلا اعتبار بمخالفته؛ فلا تضر في انعقاد الإجماع)[1].

وبالجملة.. لا يكون للمبتدع حبٌّ ولا كرامةٌ:

وقد قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي: اسمع مني كلمة. فأعرض عنه، وقال: (ولا نصف كلمة!)[1]، ومثله عن أيوب السختياني.

وقال الفضيل بن عياض: (... ومن زوَّج كريمته من مبتدع فقد قطع رحِمَها؛ ومن جلس مع صاحب بدعة لم يُعط الحكمة، وإذا علم الله من رجل أنه مُبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له)[1].

أورد القرطبي في تفسيره: (من وقَّر صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام)[1].

ومن هنا يتبين أن البُعد النهائي للبدعة هو هدم الدين، وهذا البُعد يتطلب قدرًا من التفسير.

فعندما جاء في الحديث: «إنَّ مِن شِرارِ النَّاسِ مَن تُدرِكه السَّاعةُ وَهُم أحياءٌ، وَمَن يَتَّخذُ الْقُبورَ مَساجدَ...»[1] فإننا نفهم - وفقا لمنهجية الحديث النبوي- العلاقة بين الصنفين المذكورين في الحديث.. وهي أن الذين تقوم عليهم الساعة هم آخر الشر ومنتهاه، وأن الذين يتخذون القبور مساجد هم أول الشر ومبتداه..

ليتبين أن «بدعة اتخاذ القبور مساجد» هي التي ستنتهي إلى ما سيكون عليه حال الناس عند قيام الساعة.. من الرجوع إلى عبادة الأصنام والشياطين.

كما يتبين من الحديث أن البدعة يمتد أثرها إلى قيام الساعة.

ولما كان انقطاع المبتدع عن أمته أثرًا للبدعة فإن هذا الانقطاع يمتد - أيضًا- إلى قيام الساعة..

حيث يُطرد عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم.. وذلك من شؤم البدعة على صاحبها كما في الحديث: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ... فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»[1].

ومن الطرد عن الحوض إلى الحساب...

عن ابن عمر في قوله تعالى: ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ))[آل عمران:١٠٦]^: (يعني تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة)[1].

وكان ذلك الانقطاع الممتد من الدنيا إلى الآخرة أثرًا للانقطاع عن الله الذي تمثل في..

«عدم قبول العمل» كما قال الفضيل بن عياض: (أحبط الله عمله...)[1].

«عدم التوفيق إلى التوبة» وذلك باعتبار أن

البدعة.. رؤية تحليلية

البدعة تغيير للدين والحق.. وأن التوبة رجوع للدين والحق.

فكان أمر الله بحجب كل صاحب بدعة من التوبة جزاءً له على تغيير الحق، الذي يَرجع إليه كلُّ من أراد التوبة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»[1].

ومن الحساب إلى النار..

وكمحصلة عادلة للانقطاع عن الله يكون دخول المبتدع النار مع بدعته كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[1].

ولعلنا نلاحظ بقاء المبتدعين على الذل والمهانة في الدنيا حتى دخولهم النار..

«ابتداءً» من وصف رسول الله لهم في الدنيا بقوله: «.. سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه»[1].

وفيه تشبيه لما تحدثه البدعة بصاحبها.. بما يحدثه الكلب بصاحبه.

والكلب كما يقول الزمخشري: (داء يصيب الإنسان إذا عقره الكلب الكَلِب)[1].

حتى دخولهم النار يكون على تلك الصفة..

عَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قال: قال رسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم: «الخَوارِجُ كِلابُ النَّارِ»[1].

❖❖❖

ولكل ما سبق كانت البدعة أخطر أعمال الشيطان؛ إذ ينحصر ما يدعو الشيطان إليه في ست مراتب:

- مرتبة الكفر والشرك ومعاداة الرسول.
- ثم مرتبة البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي؛ لأن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها؛ لأن صاحبها يظنها حقيقة صحيحة؛ فلا يتوب.
- ثم الكبائر على اختلاف أنواعها.
- ثم الصغائر.
- ثم الاشتغال بالمباحات.

ولذلك يقول ابن عباس: (والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحب إلى الشيطان هلاكًا مني! فقيل: وكيف؟! فقال: إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إليَّ، فإذا انتهت إليَّ قمعتها بالسنة، فتُرد عليه كما أخرجها)[1].

والملاحظ في قول ابن عباس هو إحساسه بالمعركة الشخصية مع الشيطان من أجل إخماد البدعة.. وهو إحساس ضروري في مواجهتها؛ حيث يشعر كل مسلم أنه بنفسه في معركة مع الشيطان.. من أجل القضاء على البدعة.

وهذا الإحساس الشخصي بمعركة البدعة يكون بحساسية شديدة تتناسب مع خطرها..

فهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكون رجلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) [الإخلاص:١].. حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى فقال ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر. فقال: يا فلان! ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فقال: إني أحبها، فقال: حبك إياها أدخلك الجنة.

رغم أن الفعل جائز شرعًا.. غير أنهم رأوا في هذا العمل مظهرًا جديدًا في التطبيق.

وهؤلاء علماء الأمة يجعلون من التقابل بين السنة والبدعة أساسًا لتفسير القرآن..

والحقيقة: أن هذا التقابل - كأساس في التفسير- يرجع إلى المعالجة الموضوعية للآيات، كما يرجع إلى الحساسية الشديدة عند هؤلاء العلماء تجاه خطر البدعة[1].. ومن هنا يأتي تفسير الآيات مثبتٌ لإحساس علماء الأمة بشرِّ البدعة.

عن ابن عباس في قوله عز وجل: ((ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ))[الحج:٩] قال: (هو صاحب البدعة)[1].

يقول القشيري في قوله جل ذكره: ((مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[التغابن:١١].

(يهد قلبه) لاتباع السُّنَّةِ واجتناب البِدْعة[1].

ويقول الإمام البغوي في تفسيره: ((وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ))[المائدة:٢] (قيل: الإثم الكفر، والعدوان الظلم، وقيل: الإثم المعصية، والعدوان البدعة...)[1].

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن مُحَمَّد بْن إِسْحَاقَ في قوله: ((رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا))[آل عمران:٨] أَيْ: (بَعْدَمَا بَصَّرْتَنَا مِنَ الْهُدَى فِيمَا جَاءَ بِهِ أَهْلُ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ)[1].

وقد سبق قول الإمام أبو عثمان النيسابوري في تفسير قوله تعالى: ((إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ))[الشعراء:٨٩] قال: (هو القلب الخالي من البدعة، المطمئن إلى السنة)[1].

ويقول الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: ((الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ))[إبراهيم:١] قال جعفر: (من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات البدعة إلى نور السنة، ومن ظلمات النفوس إلى نور القلوب)[1].

ويقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ((يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ))[المائدة:٤٠] (فيه قولان: أنَّه في الآخرة بعد إنشائهم، أو أنَّه في الدنيا. ثم فيه خمسة أقوال حكاها الماوردي...

الثالث: يعذِّب بمتابعة البدعة، ويرحم بملازمة السُّنَّة)[1].

وفي قَوْلَه تَعَالَى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ))[النساء:١٧١] قال قَتَادَةَ (لا تغلوا في دينكم): لا تَبْتَدِعُوا[1].

ولكن حساسية الأمة من البدعة يجب أن تكون كاملة بكمال عقيدة الأمة ودينها..

فلا يكون الكلام على بدعة في «النسك» دون البدعة في «الحكم» و«الولاء».. فتصب كل حساسية الأمة تجاه البدعة في بعض الدين دون بعضه.

ومن هنا يجب أن تكون معاداة البدعة والحساسية تجاهها منبثقة عن التصور الكامل للإسلام.

فالتحذير من البدعة لا بد أن يكون ملازمًا لكل قضايا الإسلام وكل بيان فيه، ودليل ذلك عهدُ النبي صلى الله عليه وسلم للأمة في حديث العرباض رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثُمَّ أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العُيُونُ ووجلت منها القُلُوبُ، فقال قائلٌ: يا رسُول الله، كأنَّ هذه موعظةُ مُودِّعٍ! فماذا تعهدُ إلينا؟

فقال: «أُوصيكُم بتقوى الله والسَّمع والطَّاعة وإن عبدًا حبشيًّا، فإنَّهُ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخُلفاء المهديِّين الرَّاشدين، تمسَّكُوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومُحدثات الأُمُور؛ فإنَّ كُلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[1] وفي رواية: «وكلَّ ضلالةٍ في النَّار»[1].

والوصية بالسنة والتحذير من البدعة لا يكون إلا في واقع الطاعة المطلقة، التي تستطيع استيعاب هذه الوصية..

ومن هنا تقررت في الأمة قاعدة السمع والطاعة قبل الوصية بالسنة.

وهي القاعدة التي تقررت بصورة نهائية في خطبة الوداع:

عن عبد الرّحمن بن أبي بكرة عن أبيه ذكر النّبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم قعد على بعيره وأمسك إنسانٌ بخطامه أو بزمامه، قال: «أيُّ يومٍ هذا؟» فسكتنا حتّى ظننّا أنّهُ سيُسمّيه سوى اسمه، قال: «أليس يوم النّحر؟» قُلنا: بلى، قال: «فأيُّ شهرٍ هذا؟» فسكتنا حتّى ظننّا أنّهُ سيُسمّيه بغير اسمه، فقال: «أليس بذي الحجّة» قلنا: بلى، قال: «فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرامٌ كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليُبلّغ الشّاهدُ الغائب؛ فإنّ الشّاهد عسى أن يُبلّغ من هُو أوعى لهُ منهُ»[1].

لنفهم أن أصحاب التصور الإسلامي الكامل هم أهل الوصية.. وأن أهل السمع والطاعة.. هم أهل السنة وأعداء البدعة.

❖ ❖ ❖

هل تترك الصوفية لمخططات الأعداء؟؟

أســـــامة شـــــحادة

التصوف والصوفيون حقيقة كونية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، وقد أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " لتتبعن سنن من كان قبلكم " ومن هذه السنن التصوف، إذ التصوف عرف في الأديان السابقة قبل الإسلام، وهذه حقيقة مسلم بها اليوم بين جميع الباحثين في التصوف من المسلمين وغير المسلمين، الصوفيين وغير الصوفيين.

وأخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "وستفترق أمتي هذه على ثلاث وسبعين فرقة..".

ومنهج أهل السنة هو التعامل مع أقدار الله وفق شرع الله، ومن ذلك مراعاة أعلى المصالح وتفويت أكبر المفاسد.

وقد مرت فترة على المسلمين كان غالب المسلمين من الصوفية، ولذلك انحطت الأمة الإسلامية عن رتبة الصدارة والريادة، لما نشره الصوفية بين المسلمين من شرك وخرافة ومماألأة للكفار وجهل وتواكل وشذوذ وانحراف خلقي، لا نزال نعيش آثارها لليوم.

وقد كانت هناك مواقف استثنائية مشرفة لبعض المتصوفة من نشر للإسلام أو جهاد ضد الكفار، في أنحاء متفرقة وأزمان مختلفة، وليس هذا بسبب تصوفهم بل بالعكس بسبب بعدهم عن حقيقة التصوف النهائية والتي هي وحدة الوجود، وما يستلزم ذلك من ترك للمأمورات وموالاة للكفار وارتكاب للمحرمات وقلة الدين.

وهذا يفسر لنا تذبذب مواقف المتصوفة بين الخيانة في أحيان كثيرة وبين مواقف الشرف والبطولة وهي قليلة، وذلك أن من " وصل " للحقيقة الصوفية لم يعد له اهتمام بمصالح الإسلام، وعلى هذا غالب مقدمي الصوفية، فرغم أنهم عاشوا في عصور شهدت أحداثاً جساما إلا أنه لم يسجل لهم إلا كرامات الشذوذ والانحلال كما تراها في جامع كرامات الأولياء للنبهاني.

ومع ذلك قد يكون كثير من عامة المتصوفة حسن القصد سليم النية، لكنه جاهل بالشرع متبع لهواه، وهذا حال أغلب المتصوفة من العامة، ولو كان يحمل أعلى الشهادات فهو في دين الله أمي!!

ومن الصوفية من يعرف جهله واتباعه لهواه، لكن يحمله على اتخاذ التصوف منهجاً لحياته ما يحصل عليه من جاه ومنزلة ومال من خلال التصوف، وبعضهم يعرف حقيقة تصوفه وبعده عن دين الله لكن يحمله حب الدنيا التي يحصل عليها بالدين على السير في هذا الطريق، وآخرين يحملهم بغض الإسلام على نشر التصوف بين المسلمين.

ولما كان التصوف والمتصوفون يشكلون اليوم نسبة لا يستهان بها من المسلمين خاصة في أطراف العالم الإسلامي، سعى أعداء الإسلام ممن لا يخفون عداوتهم، لكسب الصوفيين لجانبهم، فنادوا بضرورة دعم التصوف والصوفية بين المسلمين لتمرير مخططاتهم الخبيثة الرامية لصرف المسلمين عن دينهم ونبيهم ليكونوا خدماً للشيطان وأعوانه، وقد كان لشخصيات صوفية كبيرة كهشام قباني شرف هذا التحريض ضد الإسلام وأهله، وطرح التصوف بديلاً عن السلفية والحركات السياسية الإسلامية التي تقف عقبة في طريق هذه المخططات الخبيثة.

لتنفيذ هذه المخططات قام السفير الأمريكي بزيارات للموالد ومشيخة الطرق الصوفية قال شيخ الصوفية في مصر عنها: " إن هدف اللقاءات هو معرفة مدى عمق الطرق الصوفية داخل المجتمع المصري، وعددهم ومدى تأثير الفكر الصوفي على المصريين، ولقد زارني في مدينة طنطا مرتين، منها مرة أثناء احتفال الطرق الصوفية بمولد السيد احمد البدوي، وقد حضر السفير الأمريكي برفقة زوجته وابنته وخطيبها (قناة العربية ٢٠٠٧/٤/٢٦).

ومن آخر هذه المخططات تقرير مؤسسة راند الأخير " بناء شبكات مسلمة معتدلة "، والذي دعا صراحة لدعم المتصوفة في مقابل الأصوليين السلفيين والحركات السياسية الإسلامية، ولخص ذلك خليل العناني في عرضه لتقرير راند بقوله: " تشير الدراسة إلى أن هناك ثلاثة قطاعات مهمة في العالم الإسلامي قد تمثل نواة جيدة لبناء شبكات من الإسلاميين المعتدلين من أجل مواجهة المتطرفين الإسلاميين. وهذه القطاعات هي: العلمانيين ، والإسلاميين، الليبراليين ، والمعتدلين التقليديين بما فيهم المتصوفة ".

وتشير الدراسة إلى أن الصوفية تتمتع بمكانة مميزة في كل من البوسنة وسوريا وكازاخستان وإيران وإندونيسيا ، في حين أنهم يأخذون شكلاً رسمياً في المغرب وتركيا والهند وألبانيا وماليزيا. وترى الدراسة إلى أن بعض الجماعات الصوفية متشددة ومتطرفة، وتشير في هذا الصدد إلى "جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية أحباش" المتواجدة في لبنان.

وبالنسبة للدراسة فإن النموذج الذي تقدمه تجربة "فتح الله كولن" في تركيا تعد مثالاً للصوفية المتمدينة، فهي تعارض سياسة الدولة لفرض الشريعة الإسلامية، ويرى أن على الدولة ألا تسعى لفرض الدين على المجتمع باعتبار أن الدين يمثل شكلاً من أشكال الخصوصية الفردية". (نشرة تقرير واشنطن العربية عدد ١٠٥).

وهنا يطرح سؤال مهم: هذه خطة الأعداء باستخدام الصوفية ضد الإسلام، فهل نكتفي إزاءها بإدانة الصوفية والصوفيين فقط، أم أن الواجب يقتضي تحذير الصوفيين من هذه المخططات وتنبيههم على عدم الوقوع في فخاخها والعمل على إدماجهم في جبهة العمل الإسلامي أو على الأقل إبقائهم على الحياد في هذا الصراع القائم، واتخاذ هذه المخططات دليلاً على انحراف التصوف لدعوتهم إلى ترك ما هم عليهم من بدعة وخرافة وشرك، جعلت أعداء الإسلام يطمعون في مساندتهم لهم ضد إخوانهم المسلمين.

كيف يمكن لنا أن نستفيد من دروس تعاون شيخ الإسلام ابن تيمية مع الصوفية في صد عدوان التتار، أعتقد أن هذا من أهم ما نجابه به هذه المخططات وإلا كنا كما في المثل المشهور: " أشبعتهم شتماً وأودوا بالإبل "!!

والبحث عن الوسائل العملية هو من أهم ما يجب أن تنصرف له الجهود، وقد يكون منها:

١- التواصل مع بعض كبار الصوفية والذين لهم مواقف جيدة في القضايا الإسلامية العامة، وبيان ما يراد للصوفية والصوفيين تمريره من مخططات الأعداء.

٢- التوضيح لهم حقيقة ما يراد نشره بين المسلمين من أفكار إلحادية أو إباحية تحت ستار محاربة السلفية والوهابية والتطرف.

٣- محاولة إصلاح التصوف عبر دعوة بعض عقلائهم لندوات ومؤتمرات تخصص لإصلاح التصوف.

٤- فضح بعض الشخصيات الصوفية التي أجرت نفسها لخدمة هذه المخططات الخبيثة.

٥- رصد التقارير والشخصيات والمشاريع التي تقوم على تطبيق هذه المخططات وفضحها.

حج جديد ومكة جديدة بالسنغال:

الحج إلى طابا!

وائـــل خيـــرت حمـــد

"ماغال طوبى"أو"الحج العظيم"، إلى "مكة الإفريقية"، ألفاظ ظهرت وروجت لها بعض وسائل الإعلام خلال السنوات الخمس الأخيرة، وارتبطت بحدث إن كان غريبا لكنه ليس مستغربا، من حيث التوقيت والمكان، ومن حيث ما يكتنف هذين الظرفين من ملابسات..

فالزمان هو زمان مكافحة الإسلام الراسخ في مقابل تمدد الإسلام الرخو القابل لمختلف أشكال التمييع من أمركة وفرنسة وعلمنة.. المهم أن يبقى اسمه إسلاما، كي ينافس الصورة التي يراد اقتلاعها من حاضرنا ومستقبلنا.

وأما المكان فهو جنوب الصحراء الكبرى، وفي شمال غربي السنغال حيث بساطة العيش والبعد عن مفاهيم الإسلام الأصيلة وقلة العلم وندرة العلماء العاملين والدعاة المخلصين!

طوبى كما سماها مؤسسها الشيخ أحمدو بامبا مؤسس الطريقة المريدية، كانت حتى وقت قريب مدينة صغيرة، وأصبحت اليوم تقفز قفزات كبيرة على مستوى الدين والسياسة والاقتصاد، تماما كما هي على مستوى العمران والتعليم.. وارتبطت بكونها عاصمة للطريقة المريدية الطريقة الثانية من حيث التعداد والأولى من حيث الزخم السياسي والثقل الاقتصادي في السنغال، الذي يدين ٩٦٪ من سكانه بالإسلام.

نحن هنا أمام نموذج ديني آخذ في التوسع والانتشار يقوم على فكرة محورية مدينة معينة في الفكر الديني المعتمد على الخرافة في مقابل محورية المدن الإسلامية - مكة والمدينة- ذات القداسة والتاريخ في الإسلام، والأمر مرشح للتكرار خاصة في ظل توفر عدد من الأسباب التي من بينها العولمة الإعلامية والثقافية التي تشجع على الفوضى الدينية والسلوكية، وتروج للأباطيل تحت مسميات الثقافة والفلكلور والسياحة..وقد رأينا نموذجا آخر في مكة الكازاخستانية، وصعود النموذج الشيعي الذي يكرس لقداسة مدن أخرى كالنجف وكربلاء.

بل إن المتابع لما يجري في السنغال ومنطقة الغرب الإفريقي يرى تسابقا يصل إلى حد الهوس أحيانا في إبراز كل طريقة صوفية لمدينة لها صنمها، وتاريخها وأساطيرها ذات القشرة الإسلامية.

ماذا يجري هناك ؟

في ليلة الخميس الثامن مارس ٢٠٠٧ توافدت جموع الزوار الغفيرة متلاصقين كتفا الى كتف في الحر القائظ حول الجامع الكبير المبني بالرخام بينما انضم مريدون من السنغال إلى مريدين قادمين من الخارج احتفالا بذكرى الشيخ أحمدو بامبا مؤسس الطريقة المريدية الصوفية.

وانتظرت صفوف الزوار ساعات وسط الغبار والحر اللافح ليدخلوا المسجد الفسيح الذي تنتصب مئذنته شامخة بارتفاع ٨٧ مترا في سماء توبة.

وفي أنحاء المدينة وقف مريدون يعرفون باسم "باي فول" ـ وقد جدلوا شعورهم وارتدوا ملابس مزركشة فضفاضة . ينفخون صافرات ويلوحون بعصي خشبية ضخمة للحفاظ على النظام وسط الجموع. وهز كثيرون أوعية فضية وطلبوا صدقات لمعلميهم الدينيين أو المرابطين.

حتى عهد قريب كانت طوبى مدينة صغيرة لا تقوى شراييها على احتمال مليون ضيف دفعة واحدة، لكنها مؤخرا أخذت تشب سنة بعد سنة بقفزات كبيرة، تماشيا مع تطور شكل الاحتفال السنوي بضريح البامبا، ليصبح حجها ذا مناسك وطقوس، وأعراف وتقاليد تترسخ مع الأيام ويتسع تأثيرها؛ حتى رأينا هذا العام مليونا من البشر قد شدوا الرحال إلى كعبة المريدية المزعومة، وفي صخب "الماغال الكبير".. أو "الحج العظيم" بلغة الولوف السنغالية، بعد انتصاف شهر صفر من كل عام، حيث يوجد الضريح داخل مسجد طوبى وبجوار الضريح بئر يقولون أن ماءها أفضل من ماء زمزم.

حوائط المدينة وشوارعها وسياراتها ومتاجرها، ومساكنها لا يكاد يخلو أي منها من الصورة الوحيدة للبامبا - الذي مات منذ قرابة قرن- وهو يرتدي الشاش الإفريقي والعباية البيضاء ويغطي جزءا من وجهه، ويوصف بأنه بطل القومية السنغالية الذي كافح ضد الوجود الفرنسي في بداية القرن التاسع عشر، وينسب له عدد من المؤلفات في الفقه والتربية وعلوم اللغة.

و تؤكد مشاعر الزائرين البسطاء، ما يعتقده العامة بل والخاصة أيضا فيما يجري هناك، دون تقية أولوي لحقائق ما يحدث بالفعل:

"هذا يوم غير عادي. الناس أتوا من كل أنحاء أفريقيا .. من كل أنحاء العالم. ما لديك في مكة.. نبي مدينة طوبى بعث من جديد هنا. إنه الأمر ذاته."هذا ما قاله عبد الله جوايي (٣٩ عاما) المواطن السنغالي من بلدة زيجونكور شمال السنغال لمراسل وكالة رويتر.

مسجد البامبا بساحته الواسعة ومأذنة العالية وقبابه في مدينة طوبى وفي الأعلى صورة البامبا

أما عبده مجيب سو البالغ من العمر ٦٤ عاما والذي اعتاد المجيء منذ أن كان عمره ١٩ عاما فيقول:"اذا دعوت هنا في طوبى فسيستجيب الله لك. كل عام يأتي عدد أكبر من الناس ..

لاشك في أن شطر هذا العدد أو أكثر من السذج الذين خدعوا وهيء لهم أن الحج إلى هذا القبر يغنيهم عن تحمل المشاق لحج البيت الحرام بمكة حفظها الله وشرفها، وما يغني ذلك عنهم من شيء، ولكنه الجهل والخرافة التي تقتات على تلك القلوب.

فكرة الحج السنوي إلى طوبى تستغل جهل الناس وفاقتهم للترويج للخرافة باسم الدين، حيث يرى الكثيرون هنا أن بإمكانهم الاستعاضة عن الحج إلى البلد الحرام حيث التكاليف الباهظة والمشاق الضخمة، بالحج إلى مكة الجديدة التي يمكنها أن تمنحهم شعورا نفسيا بديلا للحج إلى مكة، وبتكاليف يسيرة للغاية إذ يكفي المرء أن يمتطي سقف حافلة أو ظهر شاحنة، أو أن يمشي على الأقدام بضعة كيلومترات ليصل إلى طوبى الأرض المقدسة كما تزعم المريدية، وهنا يمكنه أن يقدم جميع أنواع القربات، سواء منها ذا لأصل الشرعي كالنذر وغيره أو المبتدع كألوان الطقوس البدعية والشركية اليت ما أنزل الله بها من سلطان.

ونقلا عن مراسلين في المدينة كان عشرات الالاف من الزوار قد وصلوا خلال الليل بينما خنق الزحام المروري كل أجزاء الطريق من الريف إلى العاصمة دكار على بعد ٢٠٠ كيلومتر إلى الجنوب الشرقي.

ويتجول مئات من المتسولين والمعاقين في الشوارع الرملية حول المسجد التماسا للصدقات.

الحج إلى طابا

وداخل المسجد أحنى الزوار رؤسهم أمام أضرحة بامبا وأبنائه الأربعة المتوفين ورموا عملات المعدنية من بين القضبان. والخليفة الحالي لتوبة هو الابن الوحيد الباقي على قيد الحياة من أبناء بامبا.

وقال محمدو سار وهو حارس لضريح ابرا فول أشهر تلاميذ بامبا ومؤسس طريقة باي فول "بعد النبي أصبح الشيخ أحمدو بامبا الشخص الأكثر تأثيرا في الاسلام".

وحول الضريح ردد أتباع فول - الذين استبدلوا العمل من أجل وليهم بالصلوات الخمس - اسم الله في ترنيمة لا تنقطع.

هكذا تنتشر الخرافات التي تروجها الطرق الصوفية في السنغال ويلتف حولها ملايين الأتباع، حيث يسافر الأتباع بكل الطرق الممكنة في حاويات الشاحنات، وفوق أسطح السيارات في فترة زمنية محدودة لا تتجاوز ثلاثة أيام لزيارة الضريح، والاستماع إلى 'الخليفة' الحالي للطريقة، ضمن طقس سنوي يقترب كثيراً من أسلوب الحج إلى البيت الحرام.

أما الشيخ 'مودو كارا' - أحد أحفاد مؤسس الطريقة المريدية- فيستخدم الموسيقى في تقويم الشباب المنحرف، وإنقاذهم من الوقوع في الإدمان أو السرقة حسب زعمه.

هذا المهرجان لم يعد خاصا فقط بالطريقة المريدية بل كل الطرق الاخرى تساهم فيه بأنشطة متنوعة فيها كثير من الشوائب التي تخالف تعاليم البامبا نفسه.

طوبى عاصمة المريدية

أسس البامبا مدينة طوبى في مقتبل دعوته وسماها على اسم شجرة طوبى بناء على مكاشفات ورؤى يزعم فيها أنه رأي جبريل عليه السلام عند شجرة وأنه أمره أني يبني عندها مدينة طوبى، ووعده أن يكون لها شأن عظيم، كما يدعي المريديون.

أما الحج الذي يقام اليوم، فمن أجل الاحتفال بذكرى عودة البامبا من حيث نفته سلطات الاستعمار الفرنسي التي قيل إنها خشيت من نفوذه المتنامي آنذاك، وقد نفي من بلاده عدة مرات عاد في آخرها ليبتعد عن معارضة فرنسا، وأصدر فتوى تحصر الجهاد في جهاد النفس والترفع عن كل ما هو دنيوي ومادي، وتركت له فرنسا الأمر فيما بعد ليبشر بطريقته، وينتشر أتباعه في كل مكان، وأضفيت عليه هالات التقديس التي مازال الناس يضاعفون أثرها إلى اليوم.

وكما أسس بامبا مدينة طوبى سارع إلى تأسيس غيرها من المدن وإعطائها التسميات الدينية التي رسخت بعضا من المفاهيم في القبائل الأمية وحملت ما بقي من الوثنيين على الدخول في الإسلام. فقد أسس قرية دار السلام وقرية دار المنان ،لكن حلمه الكبير كان في تأسيس مدينة كبيرة يجعل منها نواة الدعوة متأسيا بسيرة رسول الله الذي انتقل إلى المدينة المنورة وكانت مركز دعوته. وكانت تلك المدينة هي "طوبى" قريبا من دار القدوس والتي تحولت إلى ما يشبه المدينة المقدسة، التي تجمع منذ بنائها بين الديني والدنيوي وقد تطورت وازدهرت على يد خلفائه حتى تكاد تضاهي اليوم العاصمة دكار.

ويراد لها أيضا أن تكون مدينة علمية مركزية إذ تحوي عددا من المعاهد الدينية الموازية للمعاهد الدينية الأزهرية والموريتانية، كما وضع أساس جامعة دينية العام الماضي لتصبح أول جامعة إسلامية بغرب إفريقيا وتحمل الجامعة اسم :"جامعة الأزهر بطوبى"، وستكون الجامعة الجديدة - حسب الأهداف المرسومة - امتدادا للسلك التعليمي بالمعاهد الأزهرية بالسنغال ومشروعا متكاملا للتعليم الجامعي في مختلف التخصصات النظرية والتطبيقية. بمعنى أن الطريق إلى التعليم الديني العالي لابدأن يمر بطوبى مما يكرس لفكرة مركزية هذه المدينة أكثر وأكثر.

ولشيخ الطريقة المريدية سلطة كبيرة على المدينة وما حولها، هذه السلطة ليست دينية فحسب ولكنها سياسية وإدارية أيضا، ويؤكدها إلى جانب الدعم الرسمي للدولة في السنغال، الإجراءات التي يتخذها من أجل النهوض بالمدينة، ففي خطابه بهذه المناسبة، ركز شيخ الطريقة ساليو مباكي بشكل واف على أهم التوسيعات التي سيدخلها على المدينة والأموال الكبيرة التي سيوفرها لهذا المشروع الكبير، والقارئ لهذا الخطاب يخال نفسه أمام رجل اقتصاد أو رئيس جمهورية وليس أمام شيخ طريقة صوفية .

كما أعلن أنه شخصيا سيقوم بتعبيد ٢٠٠ كلم من الطرقات، لتسهيل حركة المرور داخل مدينة توبة، ثم أعلن بأنه خصص قيمة ١٠ مليارات فرنك سنغالي لبناء عدد من المشاريع. ودعا المريدين للتعاون والتضامن والمساهمة العملية لإنجاح هذه المشاريع وذلك بالتنسيق مع مصالح الدولة، مع التأكيد على أن المدينة ستبنى فقط بالإمكانيات التي سيوفرها المريدون من أموالهم الخاصة .

إذن فسلطة الطريقة تسير جنبا إلى جنب مع مركزية المدينة، على المستوى الديني والسياسي، وبالتالي ستصبح طوبى عاصمة دينية في مقابل دكار العاصمة السياسية للدولة.

لا شك أن أحمدو بامبا كان شخصية ذات تأثير قوي على الشعب السنغالي سواء من الناحية الدينية أو حتى من الناحية الحضارية، لكننا نظن أنه لم يكن للدرجة التي يحاول أتباعه اليوم تصويرها، بدليل أنه حتى وقت قريب لم تكن المريدية بالطريقة ذات الشأن كما هي مثلا الطريقة التيجانية أو حتى القادرية، فمازالت التيجانية الأكثر عددا

البامبا في الصورة الوحيدة له

وقد كانت الأقوى حين تحالفت فيما مضى مع الرئيس عبده ضيوف ، لكنها اليوم تراجعت على المستوى السياسي مخليه الطريق للمريدية التي أصبحت الرقم الأكبر على المستوى السياسي والاقتصادي وما يتبع هذين المجالين من مجالات أخرى حيوية..

كان الشيخ بامبا يسمي نفسه خادم الرسول، أو الخادم. وموضوعي الكسب والخدمة هما الذان جعلا الطريقة تنتقل من حركة ذاتية إلى حركة اجتماعية واسعة النفوذ، أما أتباع الطريقة وغالبهم من الأثرياء فيعتقدون، أن العمل الزراعي الذي يعود ريعه إلى شيوخ الطريقة يعفيهم من أداء الفروض الدينية.

وكان في مؤلفاته يوازن بين التفقه والتصوف في شخصية المريد، وكان يقدم التفقه على التصوف، ويرى لزومية كل منهما للآخر.. لكننا لم نر أثرا إحيائيا كبيرا لدعوة هذا الشيخ..اللهم إلا في التعاليم الصوفية التي تتطور وتتبدل مع الوقت إلى مانرى من بدع، ودون أن نغفل أثر الرجل في الحفاظ على هوية البلد من خلال تسمياته للمدن ودعوته لغير المسلمين للدخول في الإسلام، ومع أنه كما ذكرنا تخلى في وقت لاحق عن مقاومته للاحتلال الفرنسي وقصره دعته للجهاد على جهاد النفس والهوى، إلا أنه بقي كرمز تاريخي للشعب السنغالي على الأقل في الدعوة للاستقلال، ولا نملك من تفاصيل حياة الشيخ ما يجعلنا نكشف عن وزن مثل هذه الأمور في مسيرة حياته.

ومع هذا فنحن على ثقة من أن الخيال الإفريقي قد نسج العشرات من القصص والخوارق والكرامات التي نسبت لهذا الشيخ وحكيت عليه ، حتى كادت تطمس على تراثه الخاص. ومما أدى إلى ذلك مجاراة بقية الطرق الصوفية التي تعلي من شأن مشائخها عن طريق الإكثار من ذكر الكرامات والحكايات العجيبة، فقد نشط الأتباع في تداول قصص وكرامات عجيبة، مثل قصته مع الأسد وقصته المتعلقة بالصلاة في المحيط فوق الماء وغير ذلك من الخوارق.

وقد ساعد على ذلك انتشار الأمية والأخطر من ذلك هو اندثار اللغة العربية وحروفها، في المجتمع السينغالي، وانتشار اللغة الفرنسية، خاصة إذا علمنا أن كل مؤلفات الشيخ بامبا

الحج إلى طابا

قد ألفها باللغة العربية. فأدى انتشار العجمة إلى إبعاد جماهير الناس عن التراث الأصيل لهذا الشيخ، الذي يظهر من كتاباته أنه كان شديد الالتزام بمذهب جمهور العلماء ومتمسك بالمالكية في الفقه والفروع ولا يعرف عنه أنه كتب بيده ما يشير إلى أي نوع من الخرافات أو الكرامات العجائبية كما أثر عن غيره من مؤسسي الطرق كما تميز بشدة التواضع، حتى سمى نفسه الخادم وهي التسمية المحببة لقلبه.

وقفة مع الطريقة المريدية

تتفرد الطريقة المريدية بسمة أساسية خاصة، وهي أنها الطريقة الوحيدة التي أسسها سنغالي، ولم تأت من خارج السنغال كما هو الحال في التيجانية والقادرية.

وعلى الرغم من هذه الديناميكية الكبيرة التي تعرفها هذه الطريقة الحركية الناجحة في السنغال إلا أن هناك العديد من الانتقادات التي توجه لها من قبل الدارسين.

وجل هذه الانتقادات تتعلق بالانحرافات الفجة التي ظهرت على الطريقة والتي تخالف تعاليم المؤسس نفسه. فالشيخ أحمدو بامبا حسب تراثه المكتوب الذي خلفه كان شديد التمسك بأحكام الشريعة، عالما فقيها، شديد الالتزام بقواعد الفقه، ولم يكن له كثرة احتفال بالخوارق والكرامات، حتى انه يقول في مجالس الجنان:

ثمت تقديم الفتى الفقه على
تصوف وجوبه قد انجلى

أي يدعو لتقديم علم الفقه على علم التصوف، ويحذر المرء من الانزلاق إلى التصوف دون فقه يعصم من الخرافات.

ولنا هنا أن نسأل عن سر ما يحدث من تصعيد لهذه الطريقة وبشكل مبالغ فيه؟

من بين الأسباب بلاشك القوة الاقتصادية للطريقة حيث تتغلغل الطريقة في الاقتصاد الوطني بشكل يشبه إلى حد كبير النورسيين في تركيا، ومن ثم فهي تمسك بعصب الحياة وتستطيع أن تنفذ إلى ما لم يمكنها النفوذ إليه بدون الاقتصاد ..وقد يكون من ذلك ما يبدو من تحالف قوى العولمة الشرسة مع القوى الرأسمالية الإقليمية، والتي تتطلع إلى دور سياسي وربما ديني من خلال سيطرتها على الاقتصاد.

وإذا كانت الطريقة التيجانية - الأولى من حيث العدد في السنغال – قد تحالفت مع عبدو ضيوف ودعمته في كرسي الرئاسة ونالت بذلك ما نالته في عهده من قوة ونفوذ، جعلها تتصالح مع العلمانية في السنغال، فإن الطريقة المريدية فعلت الشيء نفسه مع عبد الله واد الرئيس السنغالي الحالي والذي وصل إلى الكرسي على عربة الطريقة المريدية، ومن ثم سافر إلى طوبى في اليوم التالي لتوليه السلطة عام ٢٠٠٠ وشكر مشايخ المريديةعلى دعمهم، ولسنا على يقين من مدى إخلاص واد للطريقة رغم اعترافه بأنه مريدي إلا أنه من الممكن أن تكون النفعية السياسية هي الدافع المتبادل بين الطريقة والسياسة، ومن ثم رأينا نموذجا جديدا للتصالح الكامل بين العلمانية وبين الصوفية.

إن الطريقة المريدية في حاجة ماسة لإصلاح أوضاعها من الداخل، والابتعاد عن كل مظاهر الغلو والتطرف والانحراف العقدي والخلقي والعودة إلى تعاليم الشيخ المنسوبة إليه في كتبه، والنهوض باللغة العربية والحرف العربي في المجتمع السنغالي المسلم، والإعلاء من قدر العلم الشرعي والعلماء واستضافة الدعاة والعلماء ليعلموا الناس الدين الحق، من خلال المعاهد الدينية والجامعة الإسلامية التي تؤسس لها اليوم ، وإن هي فعلت ذلك فستزداد قوة إلى قوتها ، ويبقى الدور الذي تطلع مؤسس الطريقة للعبه قائما وهو إحياء الهوية الإسلامية والعودة بالناس إلى دينهم.

المريد عبد الله واد رئيس السنغال يجلس إلى جانب الشيخ الحالي للمريدية

زعيم الصوفية يعترف: السفير الأمريكي زارني مرتين

اعترف شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر ورئيس المجلس الأعلى للتصوف، المدعو حسن الشناوي، بأنه قد التقى مع السفير الأمريكي في القاهرة حوالي مرتين في مدينة طنطا حيث يقيم الشناوي ، وزعم شيخ الصوفية الأكبر في مصر أن عدد المتصوفة المصريين حوالي ١١ مليون شخص ، وأنهم يتبعون لـ ٧٢ طريقة صوفية .

وقال الشناوي أنه يحترم الشيعة ولا يعتبر بوجود فرق بينهم وبين الصوفية ، كما نفى وجود أي علاقة بينه وبين الإخوان المسلمين أو أي تنسيق في الانتخابات وغيرها من مجالات العمل السياسي .

وكان حسن الشناوي أدلى بهذه التصريحات في حواره مع موقع العربية نت بتاريخ (٢٦- ٤- ٢٠٠٧م) ، حيث قال ردا على سؤال حول علاقته مع المسئولين الأمريكيين وبخاصة السفير: "أنا لم أسع للسفير الأمريكي بأي طريقة وهو الذي طلب مقابلتي، فهل أرفضه؟ وافقت وحددت له موعدا ، وأبلغت مباحث أمن الدولة في مصر فحضر منها مسئول في صورة شخص عادي وسجل كل ما دار باللقاء" ولم يُخف الشناوي معرفته بهدف هذه اللقاءات وهو ما يعكس ترحيبه بها ، حيث قال: "إن هدف اللقاءات هو معرفة مدى عمق الطرق الصوفية داخل المجتمع المصري، وعددهم ومدى تأثير الفكر الصوفي على المصريين، ولقد زارني في مدينة طنطا مرتين"٩٢ كم شمال القاهرة"، منها مرة أثناء احتفال الطرق الصوفية بمولد السيد احمد البدوي، وقد حضر السفير الأمريكي برفقة زوجته وابنته وخطيبها وتفقد بعض المشروعات التي تم إنشاؤها بالمدينة " .

وجريا على عادة أتباع الفرق الضالة في تضخيم أعداد أتباعهم وأنصارهم ، اعتبر الشناوي أن المنتمين للطرق الصوفية في مصر يبلغون ١١ مليون متصوف ، وهم يتبعون ٧٢ طريقة تنتشر في ربوع مصر وقراها ومدنها .

وعن علاقته مع الشيعة ، أقر زعيم الصوفية بأنه لا يرى فارقا كبيرا بين التشيع والتصوف ، وقال في عبارات واضحة : " نحن نحترم الشيعة كإخوان في الإسلام ولا فرق بيننا وبينهم، بل هم يزيدون علينا في حب التعلق بأهل البيت، ويحرصون على زيارة مقابر أولياء الله الصالحين والتعلق بها مثلنا ، وذلك لا ضرر فيه فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول :القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار"، والذي يزور قبر ولي صالح كأنه يزور روضة من رياض الجنة " ، لكن الشناوي مع ذلك نفى أن يكون هناك تحول إلى الشيعة بين الصوفية واعترض على القول بأن الطرق الصوفية مدخل للتشيع في مصر ، فقال : " هذا الكلام لا أساس له من الصحة فنحن ملتزمون بما جاء في الكتاب والسنة ، ولا نؤمن بعصمة بشر سوى النبي صلي الله عليه وسلم ولا نفعل شيئا مما يفعله الشيعة ، والاتهام بأن حب بيت رسول الله يدفع إلى التشيع غير صحيح، فبالرغم من حب المصريين العارم والشديد لبيت رسول الله ولدينا أضرحتهم ولا يكف الناس عن زيارتهم لم نجد أحدا تحول إلى الشيعة " .

وهذا الإدعاء من الشناوي يتناقض مع اعتبار كثير من رموز التشيع في مصر أن الصوفية هم المرحلة الأولى من التشيع وبعضهم يدرج أعداد المتصوفة باعتبارهم من الشيعة .

وردا على سؤال حول احتمالات مشاركة الطرق الصوفية بصورة مباشرة كمرشحين في الانتخابات القادمة ، قال : " إننا لا نسعى لترشيح أحد منا كممثل لمشيخة الطرق الصوفية لكننا نترك لكل شخص من الصوفية الحرية في ترشيح نفسه من عدمه " ، لكن هذا النفي لا يلغي بقاء المتصوفة – كتيار شعبي - رصيدا يمكن تفعيله واستخدامه في مواجهة التيارات الإسلامية وفي صناديق الانتخاب ، ويحاول الشناوي إبقاء الصوفية بعيدا بقوله : " شخصيا لا أريد سياسة ، فالتصوف والسياسة لا يتفقان " ، ويتناقض هذا القول تماما مع تزايد النفوذ والصعود السياسي للتيارات الصوفية في عدد من بلدان العالم العربي مثل المغرب وموريتانيا والسنغال.

كما أكد رئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر أن " المنكرين لكرامات الأولياء المتهكمين على الخطاب الصوفي علمانيون لا يعترفون إلا بكل ما يقع تحت طائلة العقل ويعتبرونه الفيصل لكل شيء " هذا رغم أن الخطاب الصوفي لا يستخدم مصطلح " العلمانية " أصلا ولا يعتني به أو يصنف المجتمع على أساسه ، وكان الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامي قد اتهم الخطاب الصوفي بأنه يعيش في غيبوبة ويعتمد على الدجل والشعوذة والخرافات.

أما فضائح وفظائع الموالد الأخلاقية من تحرش وزنا وشرب للخمور ، فقد أنكر الشناوي وقوع ذلك داخل " سرادقات " الاحتفال واعتبر أن سيطرة المتصوفة تقع فقط ضمن هذا النطاق أما خارج السرادق فهو من مسئولية رجال الأمن ، يقول ذلك متجاوزا حقيقة أن زحام الموالد حين يختلط الحابل بالنابل لا يجعل هناك أي فارق بين داخل السرادقات وخارجها ، كما أن أكثر الأتباع والأنصار المحتفلين بالمولد يكونون خارج المساحة الضيقة للسرادقات .

البودشيشية المغربية في مواجهة الإسلام السياسي

صعد نجم الطريقة البودشيشية المغربية في العقدين الأخيرين ، وبدأ ذلك تحديدا مع تعيين وزير ينتمي إلى الطريقة ليكون مسئولا عن الشئون الدينية والأوقاف الإسلامية ، وتخضع الزوايا والطرق بالتبعية لسلطة الوزير وهو ما أدخل البودشيشية في عصر ذهبي ، فتضاعف عدد الأعضاء والمنتسبين للطريقة التي يتزعمها رجل يطلق عليه أتباعه اسم " الشيخ سيدي حمزة بلعباس " ، وصار للطريقة موسم سنوي يزدحم بالجمهور .

وقد ذكرت دراسة أكاديمية مغربية أن عدد الزوايا والطرق الصوفية يجاوز ١٤٠ زاوية وطريقة في أنحاء المغرب ، وهي تحظى برعاية حكومية تطورت مع الزمن من محاولة لضبط كل ما يتعلق بالمجال الديني إلى توظيف في مسعى لإيجاد توازنات سياسية.

بحسب الدراسة التي أعدها الأستاذ في جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء نجيب مهتدي بعنوان "الحكم والدين بالمغرب: محاولة في التأريخ السياسي للزاوية"، تقف على رأس هذه الزوايا الدينية الطريقة التيجانية بـ٤٣ زاوية، والطريقة القادرية البودشيشية بحوالي ٢٠ زاوية.

وقد ساهمت تداعيات هجمات سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م في حث حكومات الدول الإسلامية على تطوير نظرتها للتصوف وزواياه، وقررت توظيفه في اللعبة السياسية لاستعادة التوازن السياسي.

يقدم الدكتور عبد الرحيم العطري - أستاذ علم الاجتماع بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة - إيضاحا أكثر من خلال كتابه الذي أصدره بعنوان "صناعة النخبة بالمغرب" حيث قال أنه بعد تفجيرات ١٦ مايو/أيار ٢٠٠٣ اختارت الدولة إحياء نوع خاص من الممارسة الدينية أو ما أطلق عليه " الإسلام الشعبي " الذي لا يتعارض مع مصالح الدولة بل يؤيدها ويبرر تصرفاتها ، ولذلك تم تدعيمه بالملايين التي وجهت للإنفاق على الزوايا والطرق وأنشطتها .

ويقول الدكتور العطري أن الإسلام الشعبي – الصوفي – يتسم بتبرمه الدائم من مناقشة كل ما له علاقة بالسياسة وامتلاك وسائل الإنتاج والإكراه، وترفض الخوض في النقاشات السياسية، وتحرم على مريديها الدخول في أي نزاع سياسي مفترض، لأنها تعتبر ذلك خيانة لمتنها وثقافتها الفرعية وجنوحا عن اختياراتها الإستراتيجية...

بتصرف عن الجزيرة نت ٢١-٤-٢٠٠٧م
الحسن السرات

مهرجان فاس والتواصل الصوفي مع الغرب

انطلق في مدينة فاس المغربية مهرجان " فاس للثقافة الصوفية " وقد استغرقت خمسة أيام من ٢٧ إبريل إلى ٢ مايو ٢٠٠٧م ، ونظمت المهرجان جمعية تطلق على نفسها اسم "مجمع المسالك والتصورات"، ويترأسها شخصية صوفية مثيرة للجدل ، هود . فوزي الصقلي ، وكان يرأس سابقا مهرجان آخر اسمه " مهرجان فاس للموسيقى العالمية " وهو ذو طابع صوفي أيضا ، ويتمول من البنك الدولي مباشرة وبأمر من بول وولفويتز السياسي الأمريكي الذي يشغل منصب المدير ، وقد استبعد الصقلي من الجمعية التي تدير مهرجان الموسيقى إثر خلافات داخلية فأسس مهرجانه الأخير.

ويقول الصقلي أن مهرجان فاس للثقافة الصوفية " فرصة لجلب الزوار والمهتمين بالطرق الصوفية والزوايا، من مختلف بلدان العالم وتشجيع السياحة الدينية، ولم يأتي كرد فعل أو بديل عن مهرجان فاس للموسيقى الروحية "، ويقول عن هدف المهرجان أنه : " يهدف إلى فتح المجال للتفكير في استفادة المجتمع المغربي الحالي من هذا التراث – الصوفي – ".

ويعتبر مهرجان فاس للموسيقى العالمية أهم مهرجان بالمدينة، ، وقد أقيم في عام ١٩٩٤م لأول مرة ، ومنذ ذلك الحين يقام سنويا في يونيو من كل عام ، ويجلب إليه أبرز المغنيين والفرق الدينية من أنحاء العالم .

أما مهرجان الثقافة ، فقد تضمن هذا العام سهرات يومية للسماع مع الطرق الصوفية المغربية وخاصة منها "التيجانية" و"القادرية" و"البوتشيشية" و"الشرقاوية" و"الوزانية"، كما نظمت ورشات يومية حول موضوع التصوف، فن وشعر ، وعلى هامش العروض الفنية نظمت ندوات وملتقيات حول "دور التصوف في التنمية الإنسانية"، و"التصوف وتعدد الثقافات"، و"التصوف وحقوق الإنسان"، والتصوف وتاريخ المغرب"، إلى جانب ورش للنقاش حول "التصوف والفن والشعر".

كما نظم على هامش المهرجان معرض للمخطوطات الأدبية الصوفية برحاب مكتبة جامع وجامعة القرويين بفاس.

ويذكر أن الطرق الصوفية تعتمد مثل هذه المهرجانات كوسيلة لإبراز خطاب جديد قادر على التواصل مع الداخل والخارج ، هذا الخطاب يؤهل الطرق الصوفية للتقدم نحو دور البديل للتيارات الإسلامية .

الجزيرة نت ، إسلام أون لاين

النقشبنديون ينتشرون على ضفاف نهر الراين

حسن ديك زعيم النقشبنديين الألبان

نحو مائة عائلة من أتباع الطريقة النقشبندية ، وتحديدا الفرع المسمى " جماعة المقام العثماني " تقيم في بعض القرى الصغيرة والمتناثرة شمال غرب نهر الراين في ألمانيا ، ويتحلق أتباع الجماعة حول زاويتهم التي يطلقون عليها " المقام العثماني " وتقع في منطقة الآيفل .

ويذكر تقرير صحفي نشره موقع "قنطرة" الألماني (١٦- ٢- ٢٠٠٧م) أن أنصار الطريقة يتزايدون باضطراد ومن أهم الأسباب اعتناءهم بتربية الأطفال وتنشئة أجيال على حب الطريقة .

يقود الجماعة رجل متقدم في العمر يدعى "حسن ديك" هو من أصل تركي مثل أغلب أتباعه ، وهو الزعيم الروحي للنقشبندية الحقانية في ألمانيا ، ويدير ديك حلقات الذكر الصوفية في المقام العثماني ويلقي محاضرات على أتباع الطريقة الذين يحرصون على ارتداء أزياء عثمانية في الحضرات مما يلفت انتباه السكان الآخرين.

يسعى أتباع الطريقة إلى تطوير أداءهم وتعميق التواصل مع المجتمع الألماني من حولهم ، وتقيم جماعة المقام العثماني أياما مفتوحة ، وفي أحدها تم تعليق لافتة تقول : "يوم مفتوح للجميع ، ذكر وموسيقى روك"، ويقول لودفيك شيلسمان المتخصص في دراسة الشئون الإسلامية عن تطور الجماعة: "هناك ديناميكية خاصة نابعة من مسار تاريخي لتطور ذاتي تفرض نفسها بقوة، والطريقة على أية حال متواجدة منذ السبعينات" .

جدير بالذكر أن موقع "قنطرة" الذي نشر تقريرا إيجابيا في المجمل عن الطريقة، هو موقع ألماني يصدر باللغات الألمانية والإنجليزية والتركية والعربية، وهو يرفع شعار الحوار مع العالم الإسلامي ويقدم أخبارا وتقارير تخدم هذا الغرض، وهو موقع شبه رسمي أنشأته عدة جهات ألمانية من بينها الإذاعة الحكومية.

❖ ❖ ❖